الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١٠٨٩ ـ الخميس ٢٢ رجب ١٣٨٤ هـ ـ ٢٦ نوفمبر ١٩٦٤ م ـ السنة الثانية والعشرون

كتابنا والمنظمة العالمية لحرية الثقافة

بقلم : عباس خضر

منظمات

النشر والثقافة العالمية ، او التى تعطى نفسها صفة العالمية ، والتى تبث نشاطها بالحاح واغراء فى بعض العواصم العربية كبيروت والقاهرة لكى يذيع فى سائر الوطن العربى — ماذا ينبغى أن يكون موقف كتابنا منها ؟

هذا السؤال يجب أن يسبقه بعض الايضاح والتخصيص .

ان هذه المنظمات تتخذ لها شعارات وصفات من كلمات مثل الثقافة والحرية والتقدم والحضارة والمعاصرة والحداثة وامثال ذلك ، وتنشر كتابات جيدة احيانا ، وتتناول موضوعات فى مشكلات عربية تبدو مبرأة من الغرض احيانا كذلك ، وتطبع على ورق صقيل فاخر دائما ، ولا تنسى أن تحلى صفحاتها بالصور الجميلة .

تغرى القارىء العربى بذلك كله ، وتغرى الكاتب العربى بشىء آخر ذى اثر كبير فى بعض النفوس ، **وهو السخاء فى اجر النشر** ، وخاصة اذا كان للكاتب اسم لامع فى عالم الكتابة ، او كان ذا منصب كبير فى الهيئات الثقافية .

وقد يكون الأمر لاغبار عليه اذا لم يعلق بتلك المنظمة غبار من الشك فى مقاصدها واتجاهاتها ، من حيث ما نتوجس منه ونوقن به — بحكم التجربة — من المنظمات المنبثقة من الدول ذات الأغراض الاستعمارية المعروفة .

اما بالنسبة لمنظمة عرفت اهدافها المضادة للاهداف العربية ، مثل المنظمة العالمية لحرية الثقافة ومجلتها «حوار» التى يصدر اصلها الفرنسى فى باريس وفرعها العربى فى بيروت — فان الأمر يختلف جدا .

وهى المجلة التى يجادلنا فى شأنها الدكتور ابراهيم مدكور (العدد الماضى من الرسالة) اذ يعتب على «الرسالة» لانها لم تستوضحه قبل ان تنشر عنه ما يدل على وثيق صلته بمجلة «حوار» وانه عضو فى لجنة الفتها هذه المجلة للتحكيم فى مسابقة ادبية .

ولم اتبين وجه عتاب الدكتور على الرسالة .. كنت افهم مثلا ان ينفى تلك الصلة ويتبرأ من تلك العضوية ، **ولكنه اكد الصلة بان ذكر كتابات له بها ثم قال انه اختير فعلا بين المحكمين فى اللجنة وابدى اسفه بقوله : «واضطررت مع الأسف للاعتذار عن ذلك منذ زمن ولكن لأسباب غير تلك التى ذهبت اليها مجلة الرسالة» .**

وكنت افهم كذلك أن يعتب الدكتور مدكور على الرسالة لانها الصقت به تهمة الصلة بمجلة «حوار» على حين أن هذه الصلة لاتزيد على مقالين نشرهما بها عن لطفى السيد وعباس العقاد .. مقالين فقط .. وماذا فى مقالين فقط ! وانه اعتذر عن عدم عضوية اللجنة لاى سبب كان **ولكن بدون أسف** .. وما وجه الأسف !

ولكنى لم افهم كيف يعتب الدكتور على شىء لم يثبته — اولا بما يتضمنه العتاب ، وثانيا بتعقيب يدافع به عن مجلة «حوار» دفاع النصير فيقول :

«حاولت جاهدا ان اجد فيها شيئا يخرج على العروبة ويعترض سبيلها . وعلى العكس وجدتها تعلن في صدر عددها الاول انها (مجلة عربية) ويكتب فيها ادباء ومفكرون من كافة الاقطار العربية وتعنى بالقضايا الحية التى تهم امتنا ووطننا »

ويستمر الدكتور في الاشادة باهتمامات المجلة **«العربية»** الى ان يختم هذا الدفاع بقوله : **«فهل بعد هذا يمكن ان يقال ان مجلة حوار تناقض القومية العربية او انها تمالىء الاستعمار ؟ لا اظن ان هناك سبيلا لتقديم دليل مادى على ذلك من عمل حوار نفسها »**

ومادام الأمر كذلك ، ومادمت يا اخى الدكتور متحمسا لحوار هذا التحمس ، **فلماذا غضبت لما نشر عن صلتك بها ولماذا عاتبت «الرسالة» وهى لم تنشر الا جزءا مما قلت ؟**

لعلك لم تغضب وتعاتب لنفسك ، **بل لمجلة حوار ..** اذ وصفت - فيما نشر - بأنها **« المجلة المعروفة باتجاهاتها اللاعربية »** على حين تعتقد انت انها **«مجلة عربية» كما أعلنت في صدر عددها الأول !!** وترى ادباء ومفكرين من كافة الأقطار العربية يكتبون فيها ، وتعنى بالقضايا الحية .. الخ .

اذا كنت يا اخى الدكتور تعتقد ذلك حقا فانت رجل طيب ..

ماذا فعل الاستعمار - يا استاذ الفلسفة - غير مثل ذلك ؟

سمى نفسه من اول جولة « استعمارا » ادعاء منه أنه انما « يعمر » البلاد التى يغزوها وهو في الحقيقة يخربها .. وعاونه افراد من أهل البلاد بغية النفوذ والكسب على حساب شعوبهم ، وقام باعمال ادعى أنها اصلاحية ، وتبدو كذلك في الظاهر وهى في الحقيقة لمصلحته .

وكذلك مجلة حوار .. باسمها ، ومعاونيها من الأقطار العربية بالكتابة فيها ، وعنايتها بالقضايا الحية .. الخ .

والقائمون عليها أذكياء دون شك .. فهم ينشرون بعض الأبحاث التى تبدو في صالح العرب وان كانوا يدسون في خلالها ما يشكك في المشروعات العربية ، وينشرون كذلك موضوعات بريئة ، على ان تكون ثمنا لموضوعات اخرى غير بريئة يلف فيها الكاتب ويدور ليبث غرضه الني، في كلمة او اشارة



وربما لا يلف ولا يدور فيقدم على انه كاتب عربى تقدمى جرىء .. يهاجم القيم والمقدسات العربية ويسميها جمودا وتحجرا .

وانت يا استاذ الفلسفة - رجل ذكى ، والدليل على ذكائك قولك « لا اظن ان هناك سبيلا لتقديم دليل مادى على ذلك من عمل حوار نفسها »

فانت تسمع وتقرأ ما يقال ويكتب عنها ، من انها مؤسسة صهيونية استعمارية ، ولست ادرى هل تعلم ان المنظمة العالمية لحرية الثقافة **تصدر احدى مجلاتها في اسرائيل ،** وان مجلة «انكاونتر» الانجليزية من مجلات المنظمة ، وهى معروفة بتأييدها الدائم لاسرائيل ، وكل مجلات المنظمة ، في انجلترا وفرنسا وايطاليا ، تمجد اسرائيل وتدافع عنها بشكل مباشر صريح ، وباسلوب يختلف طبعا عن « حوار العربية » التى تضع السم في العسل .

ولست أدرى هل تعلم أن المنظمة تقوم على تبرعات تدفعها مؤسسات « روكفلر » و «فورد» وغيرها من المؤسسات الراسمالية الأمريكية التى تهمها مصلحة اسرائيل ، كما تهمها محاربة الاتجاه الاشتراكى في العالم العربى الذى تعاكسه حوار **بوسائل ذكية مثل الفن للفن والثقافة المتحررة وعمق التجربة الفردية** .. الى آخر هذا الكلام البراق .

ولا بد أنه يترامى اليك ما تكتبه صحف لبنان الوطنية الحرة عن المنظمة ومجلاتها وخاصة « حوار » التى تصدر على مقربة منها فتعلم دخائلها **ودخائل المشرفين عليها من «العرب» وفي مقدمتهم**

رئيس التحرير الفلسطينى الأصل الذى لا يكتب كلمة عن الوطن المسلوب ..

هل علمت ما قامت به مجلة «**الشعب**» اللبنانية من ترجمة مقالات نشرت بالأصل الفرنسى لمجلة حوار ، كلها دفاع عن اسرائيل ومهاجمة للعرب ؟

هل تعلم ان بعض كتابنا الذين خدعوا أولا فى « حوار » امتنعوا عن الكتابة فيها لما اكتشف لهم أمرها ووقفوا على حقيقتها ؟ منهم **الدكتورة سهير القلماوى ، والدكتور زكى نجيب محمود** الذى أعلن فى مجلة «**الحوادث**» اللبنانية مقاطعته لحوار وانه لن يكتب بها لشكه فيها . وكذلك كتاب آخرون مثل صلاح عيسى وصبرى حافظ اللذين كتبا فى مجلة« **الآداب** » البيروتية — عدد سبتمبر الماضى — يقولان : «**لقد تأكد لنا ياصاحبى استعمارية مخطط المؤسسة العالمية لحرية الثقافة التى تصدر عنها «حوار» تأكد لنا هذا من خلال المراسلات المتبادلة بيننا وبينهم ، ومن خلال تاريخ المؤسسة فى ميدان الكلمة واطلاعنا على مجلاتها المختلفة ومن خلال مؤازرة هذه المجلات لقاعدة الاستعمار فى بلادنا .. لاسرائيل، ومن خلال الحقائق المستمرة لما تنشره « حوار » ولطريقة تعاملها مع غيرنا من الكتاب ولكمية المكافآت المريبة التى تدفعها لكلمات تقتل مستقبل الانسان العربى**»

ومثل غالى شكرى الذى كتب أيضا فى «الآداب» — عدد اكتوبر الماضى — يعلن أسفه على ماكتب فى « حوار » قائلا : « **عندما تحيط الشبهات احدى مؤسسات النشر من جانب التيارات الوطنية والاتجاهات التقدمية يتعين على الكاتب الوطنى التقدمى ان يلتزم جانب هذه القوى ، لذلك أعود الى قراء « الآداب » وكلى أسف على فترة الانقطاع الطويل التى قضيتها فى الكتابة لمجلات أخرى احاطتها الشبهات من جوانب عديدة ، وهذه المجلات هى بالتحديد « حوار » و « أدب » و «شعر »** .

ولم يبق على الولاء لحوار من كتابنا الا الدكتور مدكور ، وصديقه الدكتور عثمان أمين صاحب الفلسفة الجوانية والمقالات « **الرائية** » والدكتور لويس عوض **بشعره الذى لا يمكن نشره فى القاهرة لاشتماله على عبارات جنسية فاضحة** ، وآخرون نرجو لهم الهداية الى سبيل الرشاد .

أنت — يا أستاذ الفلسفة — رجل ذكى ، لأنك تعرف ذلك الذى يقال ويكتب ، أو تعرف أطرافا منه ، ولا تريد ان تسلم بصحته ، بل تطلب «**دليلا ماديا** » عليه « **من عمل حوار نفسها** » .

هاك الدليل الذى ظننت أن لا سبيل لتقديمه :

فى العدد الثانى من مجلة « حوار » موضوع بعنوان « **آلام النمو العربى** » ولأمر ما اختار الكاتب زاوية الآلام من عملية التصنيع العربى .. يقول الكاتب — ص٤٥ — «**ففى الجمهورية العربية المتحدة من خمسة الى ستة ملايين مواطن فى القطاع يثقلون كاهل هذا القطاع بدون تقديم شىء يذكر الى اقتصاده —وبعبارة فنية** يكاد يكون انتاجهم الجدى صفرا أو نحو ذلك » .

ولا يقول لنا من أى مصدر او احصاء اتى بذلك، وكأنه يقول بأن فلاحى الجمهورية لا ينتجون شيئا .. وهو كلام يحمل كذبه فى طياته ، كما تحمل « العبارة الفنية » تفاهتها وخلوها من فن .. أى فن !

وتتكشف نوايا كاتب المقال الرأسمالية فى قوله — ص ٤٨ — « **على أن القوى العاملة ، وهى لاتزال فى أولى مراحل اكتشاف قدرتها على تصحيح الخلل فى توازن القوى الاجتماعية ، معرضة بحكم العامل النفسانى الى طلب أكثر مما ينبغى بأسرع مما ينبغى** » **وعلى هذا** المنطق الرأسمالى يجب الحد من الاندفاع فى التصنيع العربى الذى يقض مضاجع الرأسماليين والاستعماريين الذين يخشون دلينا .. من .. مطالب القوى العاملة !

وفى العدد الثالث مقال بعنوان « **المرأة العربية ومشكلتها الجنسية** » وهو عن كتاب بهذا الاسم لمؤلف زعموا انه يدعى « **يوسف المصرى** » ويقال ان كلمة « المصرى » هنا مقحمة على اسم كاتبه من كتاب حوار « **التقدميين** » المتضلعين فى تشويه كل ما هو عربى . يشيد المقال بالمؤلف وعبقريته ، لأنه « **يتحدث عن عادة تعاطى الحشيش فى وادى النيل** » و « **يصف باسهاب وضع المرأة من الناحية الاجتماعية والقانونية فى العالم العربى ، أو بالأحرى فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بالدرجة الأولى** » والمؤلف يزعم أو — كما يقول المقال — « **يؤمن أنه ليس من الحق أن تشوه الفتيات فى طفولتهن** ، وأن يبعن ويشرين فى شبابهن ، وأن تعامل **المتزوجات بالقسوة ، وأن يحرم النساء مهما كان عمرهن أو مقامهن الاجتماعى ممارسة كافة**

حقوقهن القانونية » كانه لا يعلم ان فى « ج . ع . م » الآن وزيرة وعضوات بمجلس الامة .. ولكنه يكذب .. ويمضى فى كذبه وتصويره المشوه للمراة العربية فيقول ان حياتها تتلخص فى تشويهها فى الطفولة « **كيما تصد فى المستقبل عن تلويث شرف العائلة** » ، وفى بيعها فتاة بالزواج من رجل متقدم فى السن ذى رصيد كبير فى البنك .. ويروى « **ان مؤسسات تعاونية قامت فى الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٩ كيما تسهل عقد زواجات على اساس الشراء بالتقسيط** » !! ويتم تصويره لحياة المراة العربية بانها « **آلة انتاج فحسب ، وحيوان للقيام بالاعباء ، وخادم للاعمال الشاقة لزوجها الحق فى أن يضربها بحكم القانون، وان بادائه الضرب كان نصيبها السجن** » وانه « **ليس ثمة مكان كالبلدان العربية تتخذ فيه الحياة الزوجية طابعا كريها منفرا بالنسبة للمراة** »

هذه هى الموضوعات الحية التى يقول الدكتور ابراهيم مدكور ان مجلة حوار تعنى بها لانها تهم امتنا ووطننا ..

وهاك المزيد :

فى العدد الثانى عشر يقول رجل امريكى يدعى « وليم زارتان » : « **ان اللغة العربية كلغة حديثة قد جمدها التمسك بالماضى ، فهى تعانى من غزارة مفرداتها المهجورة ومن فقرها علميا ، وهى تعج بمفردات ومعان عن مظاهر الحياة البدوية بينما تفتقر افتقارا تاما الى اسماء حاجات الحياة الحديثة ومفاهيمها** »

ايرضيك هذا يا « امين عام مجمع اللغة العربية » ؟

قلنا ان لهذه المجلة اهدافا تناقض اهداف مجمع اللغة العربية .. فغضبت وعتبت وعقبت ودافعت عن حوار .. **وكان اجدر بك ان تعتب — على الاقل — على حوار وتدافع عن المجمع .. عن « المعجم الوسيط » الذى تشرف عليه والذى يعج باسماء الحياة الحديثة ومفاهيمها . هل تغضب لانفسنا ولا تغضب لقيمنا ؟!**

اتريد مزيدا من الادلة ؟ لا بأس :

فى العدد الأخير (١٣) واحد منا — مع الأسف — اسمه « محى الدين محمد » تحتضنه «حوار» وتزجى اليه « **تهنئة حارة لمحيى الدين محمد لكتابه «ثورة على الفكر العربى المعاصر» ولا اكتم تقديرى واعجابى بثورة هذا الأديب العربى المثقف** » وذلك لانه — الاديب العربى المثقف — يدعو الى « **تغيير التراث العربى جميعه ، ليمكن للعقل ان يقفز من محدوديه الخرافه والتسليم والرضى ... الخ** » ولانه «**ياخذ على الشباب المصرى لاادريته وتسليمه بالامور بروح متخاذلة** » ويدعو كذلك الى رفض ماضينا وحاضرنا وتاريخنا والكف عن الانتاج والتحول الى الترجمة !! وينبه الى وطاة الوضع الاجتماعى على الاديب وشعوره العنيف باللاحرية .!

وهذا كلام — كالكلام السابق عن المراة العربية — يحمل كذبه فى طياته ، وتدحضه مظاهر التحرر والبناء بل اعمال الاعجاز لا فى « ج . ع . م » نحسب ، بل فى غيرها من الوطن العربى . وهذه المظاهر لا تسر « حوار » ومنظمتها الصهيونية الاستعمارية ، فمن يطمسها ويحولها ولو بالهذيان الى عكسها فهو مستحق ان يقول فيه محررها : « **لم المس للآن ثورة تساندها مثل ثقافة محى الدين محمد وتقودها جراة كجراته على تسمية زوايا الجمود والتحجر فى الذات العربية المعاصرة . فمرحى لهذه الجراة ، مهما كانت عواقبها وتبعاتها اذ بمثلها فقط تبنى المجتمعات** » !!

هذه نماذج من القضايا الحية التى تهم امتنا ووطننا .. ويكتب فيها بمجلة « حوار » ادباء ومفكرون من كافة الأقطار العربية .. كما يقول الدكتور ابراهيم مدكور .. وهو لهذا يدافع عنها ويستزيد من امثالها ..

يا اخى الدكتور ، انى افترض فيك احسن الفروض ، **وهو انك مخدوع .. ولهذا** انتظر منك ان تتخذ من الدكتور زكى نجيب محمود والدكتورة سهير القلماوى اسوة حسنة ، وانتظر ذلك ايضا من البقية الباقية مع حوار .. **ولعل زميلك صاحب الفلسفة الجوانية ولعلكم جميعا تحولون مقالاتكم وكتاباتكم عن « العملة البرانية »**

حاشية تساءل الدكتور ابراهيم مدكور فى تعقيبه عن السبب فى ربط دعوته الى جامعة بريستن الامريكية وبين علاقته بمجلة حوار ، وقال انه دعى الى هذه الجامعة لمنحه لقبا علميا فخريا يعده رمزا لعلاقة ثقافية بين بلدين كبيرين .

والجواب أن الذى دعاه الى تلك الجامعة هو أستاذ يهودى بها من انصار المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، واسمه كويلارينج لا تهمه — طبعا — العلاقة الثقافية بين البلدين .. انما تهمه مكافاة الدكتور ابراهيم مدكور على خدماته لمجلة حوار .

عباس خضر

ليس حسنا !!

بقلم : محمود محمد شاكر

ليس حسنا أن يعزل كاتب قلمه ! ولكن هكذا قدر الله على أن أفعل ، فنحيته عن أناملى ، لكى أفرغ للقراءة والتفكر ، حتى تصرم على ذلك أكثر من ثلاث عشرة سنة . فلما عدت اليه أحمله ، ثقل محمله ، وقد صدىء سنه ، ورسف فى قيود الاهمال خطؤه ، واذا هوة سحيقة القرار قد انخسفت بينى وبينه ، كهوة بين حبيبين تمادى بينهما جفاء مستحدث من ملال . ولكنى على ذلك كله اليوم مرغم : مرغم على حمله ، ومرغم على استحياء ماكان بينى وبينه من حب متصرم ، ومرغم على أن يكون اعتذارى اليـه صادقا ، مهما تكبدت فى سبيل ذلك من مشـقة وعنت . ويشـاء الله الذى قدر وقضى ، أن يكون الرجل الذى جعلت كلامه حجتى على من لامنى ، يوم عزمت على تعطيل هذا القلم ، هو نفسه الرجل الذى أحمل القلم من أجله ، وخبر ذلك أنى كنت أقول يومئذ لمن يلومنى :

اذا كان علم الناس ليس بنـافع
ولا دافع ، فالخسر للعلمـاء

قضى الله فينـا بالذى هو كائن
فتم ، وضاعت حكمة الحـكماء !

يقوله شيخ المعرة ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان المعرى ، رحمة الله عليه .

فمنذ أسابيع نشرت صحيفة الاهرام مقالة ضافية تبشر بجديد فى رسالة شيخ المعرة ، المعروفة برسالة الغفران ، وكاتب هذه المقالة هو الدكتور لويس عوض فاذا به يحملنى الى ماض سحيق البعد مكفوف بالظلمات ، فهو يريد ان يجلوه لعينى مشرقا مسرفا فى الاشراق ، ثم تتابع ذلك من فعله ، حتى انتهى منذ أسبوعين أو ثلاثة ، الى الكلام فى صميم رسالة الغفران ، وان كان هو قد آثر أن يسمى فعله هذا : « على هامش الغفران : شىء من التاريخ » ، فقال بعد مقدمة قصيرة : « **ولعل أسلم منهج فى الانتقال الى المعرى ، والحديث عن « رسالة الغفران » ، هو ان نبدأ بعرض الخلفية التاريخية لهذا العمل العظيم ، فنوضح طبيعة العصر الذى كان يعيش فيه المعرى . فنتضح بذلك أهم مشاكله ، وأهم معتقداته ، ومحاور الصراع المادى والفكرى فيه ، عسى أن يلقى كل ذلك ضوءا على مرامى المعرى وغاياته من «رسالة الغفران» وعسى أن نجد بعض المفاتيح التى تساعدنا على معرفة موقف هذا الرجل العظيم ، كما تجلت فى أدبه ، من أفكار عصره ، ومن أحداثه ، ومن رجالاته ، ومن أحواله بوجه عام** » .

وهذا كلام حسن جدا ، ليس فيه ما يعاب ، و ليس بمستنكر صدوره عن الدكتور لويس عوض ، لانه كان أولا ، طالبا قديما لآداب اللغـة الانجليزية ، درسها حتى نال ، فيما أظن ، اجازة الليسانس ، ثم الماجستير ، ثم الدكتوراه ، ومعنى ذلك أنه بلا شك يحسن أن يقيم الدراسـة على المنهج ، ولأنه ثانيا ، ولابد كان فيما أظن أيضا ، معيدا بالجامعة ، ثم مدرسا ، ثم استاذا يتولى مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه ، والاشراف على أصحابها قبل ذلك ، ولانه ثالثا ، خرج على الناس كاتبا ، فمارس الكتابة زمنا ، فهو خليق أن يعالج دراسة «رسالة الغفران» ، على منهج محكم الاصول ، وباسلوب يرضى عنه أستاذ الجامعة ، ولايجفو على قارىء الصحيفة ، ممن لم يقدر له أن يتحمل دراسة الآداب على المنهج . هكذا كان ظنى ، وان كان ما أعرفه من قراءة كتب الدكتور لويس عوض ومقالاته وغيرها قد يحملنى على الشك فى قدرته على تحقيق هذا الظن ، فما كدت أفرغ من

مقاله الذى افتتحه بذكر منهجه هذا ، ثم مقاله الذى يتلوه بعنوان : « كلمة عن ابن القارح » (**الأهرام** : يوم الجمعة ٩ رجب سنة ١٣٨٤ — ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٤) حتى عجبت وتخوفت ٠ اذا كانت كلمة « المنهج » لم تزل محفوفة بكل هذا القدر العجيب من الغموض والظلمة فى عينى الدكتور لويس عوض أستاذ الأدب الانجليزى ، وهو من هو ، فهى بلاريب فى أعين سائرالناس أشد غموضا وابهاما !! وعندئذ عجبت ، ثم ان الدكتور لويس عوض أستاذ قديم يقتدى به فى دراسة الآداب ، فيما أرجح ، فمن هنا تخوفت على مصير دراسة الآداب ، مع كثرة ما يحف هذه الدراسة من المخاوف ، من جراء ما استشرى امره من أبحاث تنشر فى الصحف والمجلات، والكتب أيضا ٠

وعادت بى الذكرى الى ماض بعيد ، اذ كنت طالبا فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، منذ نحو من تسع وثلاثين سنة ، يوم وقع الصراع بينى وبين أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين على مفهوم كلمة « المنهج » وعلى الأدوات التى يمارس بها هذا « المنهج » ٠ ثم ظل هذا الصراع قائما على أشده فى نفسى منذ فارقت الجامعة ، حتى أخرجت كتابى عن « المتنبى » فى يناير سنة ١٩٣٦ ، ثم أخرج أستاذنا بعد ذلك بعام أو أكثر كتابه « مع المتنبى » ، فكتبت يومئذ مقالات طوالا ، مع الأسف ، فى نقد كتاب الدكتور طه ، زادتنى معالجة نقده يقينا على يقين ، فى ان الغموض اذا أحاط بلفظ « المنهج » أدى الى خلط كثير فى فهم الآداب ، وفى تفسيرها ، وفى شرحها ، ثم فى تصوير أحداث العصر وأفكاره ورجالاته وأحواله ، بوجه عام ، كما يقول الدكتور لويس عوض ، واليوم وبعد هذا الدهر المتطاول ، أجد هذا اللفظ قد ازداد ابهاما وغموضا ، وازداد تطبيق مايقتضيه تخليطا على يد الدكتور لويس عوض ٠

فمن اجل ذلك ، أجدنى مضطرا لالتماس معذرة القارىء المتعجل، لأنى انما أخاطب بهذه الكلمة أستاذا جامعيا ، أو هذا هو المفروض ، وان كان ماكتبه لا يحمل طابع الاستاذية ، بل طابع المقالة الصحفية اذا كان من المفروض أيضا أن المقالة الصحفية لاتزال الى اليوم قائمة على الاستثارة المبهمة عند بعض الناس ، وكنت اتوهم أن هذا أسلوب قد انقضى عهده وباد أهله ، أو كان هذا هو المفروض عندى أنا على الاقل ٠

ولفظ « **المنهج** » يحتاج منى هنا الى بعض الابانة وان كنت لا أريد به الآن ما اصطلح عليه المتكلمون فى مثل هذا الشأن ، بل أريد به « ما قبل المنهج »، أى الاساس الذى لايقوم المنهج الا عليه ٠ فهذا الذى سميته هنا « منهجا » ينقسم الى شطرين : شطر فى تناول المادة ، وشطر فى معالجة التطبيق ٠ ويؤسفنى أن أكتب هذا فى مخاطبة أستاذ جامعى ٠ فشطر المادة يتطلب قبل كل شىء جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر ، ثم تصنيف هذا المجموع ، ثم تمحيص مفرداته تمحيصا دقيقا ، وذلك بتحليل اجزائها بدقة متناهية ، وبمهارة وحذر ، حتى يتيسر للدارس أن يرى ماهو زيف جليا واضحا ، وما هو صحيح مستبينا ظاهرا ، بلا غفلة ، وبلا هوى ، وبلا تسرع ، أما شطر التطبيق فيقتضى اعادة تركيب المادة بعد نفى زيفها وتمحيص جيدها ، باستيعاب أيضا لكل احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرع ، ثم عليه أن يتحرى لكل حقيقة من الحقائق موضعا هو حق موضعها ، لان أخفى اساءة فى وضع احدى الحقائق فى غير موضعها ، خليق أن يشوه عمود الصورة تشويها بالغ القبح والشناعة ٠ وهذا شىءواضح فيما أظن ، ما كان أغنانى عن ترداده على مسمع أستاذ جامعى ، ولكن يبقى شىء هو مفروض ابتداء ، لا يصلح شىء مما قلته الا به ، بيد أن الناس قد يخدعون عنه أو يتجاهلونه لهوى غالب على النفس ، ألا وهو الدارس الذى يعالج « المنهج » بشطريه ٠فالدارس ينبغى أن يكون قد ملك الاسباب التى تجعله أهلا لمعاناة « المنهج » ٠ وهذا شىء يحسن ضرب المثل عليه لتوضيحه ٠

فاذا اتخذنا شيخ المعرة مثلا موضحا ، فدارسه ينبغى أن يكون مطيقا لقراءة نصوصه جميعا من نثر وشعر ، لامن حيث هما لفظان مبهمان غامضان : « نثر » أو « شعر » ، بل من حيث تضمنهما ألفاظا دالة على المعانى ، والفاظا قد اختزنت على مر الدهور فى استعمالها وتطورها قدرا كبيرا من نبض اللغة ونمائها الادبى والفكرى والعقلى الى كثير من الدلالات التى يعرفها الدارسون ، ثم من حيث هى الفاظ قد حملت سمات مميزة من ضمير قائلها بالضرورة الملزمة لانه انسان مبين عن نفسه فى هذه اللغة بما يسمى « شعرا » ، أو بما يسمى « نثرا » ٠ وواضح جدا بعد ذلك لمن يحسن أن يتأمل بعض التأمل ، ان هذا كله يقتضى أن يكون الدارس قد رحل رحلة طويلة فى آداب اللغة السابقة لعهد شيخ المعرة ، فدارس

فيها الماضين من شعراء هذه اللغة وكتابها مدارسة متقنة جادة غير هازلة ، مشحوذة بالذكاء والتنبه ، ومصقولة بحسن التمييز والتدبر ، ليكون فى مأمن من اختلاط شيء منها بشيء مخالف له أو مناقض ٠ وذلك لأن تراث كل لغة من اللغات ، وان كان وحدة لاتكاد تتجزأ ، الا أن اختلاف الازمنة والامكنة يمنح كل نص وسما بائنا من سواه ، ويفيض عليه لونا متفردا من غيره ، فهذا أمر كما ترى شديد المراس لمن لم يملك ناصيته ، فلا يهجم عليه بلا أداة ، وبلا روية ، وبلا استعداد ، وبلا فهم الا كل من ظن فى نفسه الظنون ، اما جهلا واما رعونة ٠

وليت الامر فى دراسة الآداب يقف بنا عند هذا الحد ! فانه لأهول من ذلك فى كل زمان ومكان ، وفى كل لغة ذات بيان، انه لأمر مفروغ منه، أمر ارتباط الآداب بتاريخ الامة وعاداتها واخلاقها ودياناتها وما شئت من شيء تعد به الامة ذات كيان قائم متميز فدارس الآداب اذا لم يكن مطيقا لذلك كله ، بصيرا به ، حسن التصرف فى جليله ودقيقه ، جيد الفهم لغوامضه ومبهماته ، فهو حرى ان يشوه الصورة عند تركيبها تشويها فيه من الشناعة مايجعل دراسته مثلة بمن يدرسه ، كما يمثل المحارب المحترق بجثة عدوه ، وقد أطارت لبه حدة العداوة والحقد ٠ واتقان دراسة هذه المادة كلها تعد دراسة أدبية محضة ، فلا يستطيع دارس أن يقول للناس : انها ليست من صميم اختصاصى ! فاذا قالها ، فذلك ايذان منه بانه فقد التمييز وجهل أساس كل منهج، واستحق أن يطرح الناس ما يقوله ، اذا هو لم يجد عند نفسه القدرة على أن يستحى فيستر مايكتب ، ويغيبه عن أعين الناس ٠

وظنى أن هذا الذى قلته عن « المنهج » كاف فى تمثل التبعة التى يتحملها دارس الآداب ، وفى ادراك التبعة التى يحملها القارىء ، حين يعرض عليه دارس مادرس ٠ فالامر من اى نواحيه اخذته اذن جد لا هزل فيه ! ومادام الدكتور لويس عوض قد تخير لنا « أسلم منهج » فى دراسة رسالة الغفران، فقد رايته حسنا ان ابدأ بالنظر فى منهجه ، لا من حيث أراد هو أن يبدأ ، بل من حيث انتهى به الحديث فى مقاله : « كلمة عن ابن القارح » ، لأنى وجدت الدكتور لويس عوض ، قد اخفى عنا « مادة الدراسة » ، وهو شيخ المعرة نفسه ، على امتداد خمس مقالات طوال، فلم يذكرها الا فى ختام الخامسة منهن ، و « شيخ المعرة » هو مادة الدراسة ، لانه صاحب « رسالة الغفران » ، ولانها أثر من آثاره ٠ ولا أستطيع أن أكتم عنه اعجابى بقدرته على كبح جماح نفسه خمسة أسابيع من أسابيع الكتابة ، مخفيا مادة دراسته ، فلايكاد يعرضها لأعيننا الا فى ختام خامستهن ، ويلقيها الينا بلمحة خاطفة ، توحى بأن هذه المادة الملقاة قد فرغ من تمحيصها على يده ، أو على يد غيره ، حتى صارت احدى المسلمات التى لا تملك البداهة الا الاذعان لها ، كما يقول القائل : «رجل ورجل » « رجلان » بلا فرق بينهما ! فانظر اذن كيف ساقها ، ولم أسقط من كلامه شيئا غير طرح التاريخ الميلادى المعوق :

« هذا هو الجو السياسى المعقد الذى عاش فيه المعرى حتى اعتكف فى معرة النعمان حول (٤٠١ هـ) ومنذ أن اعتكف فيها حتى مات عام (٤٤٩هـ)٠ فحلب، وهى على بعد اميال قليلة من المعرة ٠ يتبادلها اولا الحمدانيون تظاهرهم عسكر الروم والفاطميون ، ثم يتبادلها ثانيا المرداسيون تظاهرهم عسكر الروم والفاطميون ٠ ولم تكن انطاكية أحسن حالا ، فقد ظلت مائة وعشرين سنة كاملة فى يد الروم من سنة ٣٥٣ الى ٤٧٧ هـ ، ولد وهى لهم ، ومات وهى لهم ، وتعلم بها وهو صبى وهى لهم ، فقد كان يختلف الى مكتبتها مع أسامة بن منقذ فيما روت كتب القدماء ، وكانت فيها يومئذ حضارة زاهرة حسب ما روى ياقوت الحموى ٠

وقد كان حكم اللاذقية حكم أنطاكية، كانت فى يد الروم زمن المعرى ، وقد تعلم المعرى فى اللاذقية ، كما تعلم فى انطاكية ٠ ففيما روى القفطى والذهبى انه نزل بدير فيها ، « ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل » ، بلغة طه حسين ، او باختصار : اخذ عنه اليونانيات ، فما علوم الاوائل هذه التى كانت تقرا فى الاديرة تحت حكم الروم ، الا آداب اليونان وفلسفتهم فى لغتها الاصلية ، والحق انه لا يعرف شيء عن تعليمه الرسمى حتى سن العشرين ، وهى سن التكوين ، الا انه تعلم فى حلب ، ثم فى انطاكية ، ثم فى اللاذقية ، ثم فى طرابلس ومثل هذا الغموض الذى أحاط بتكوينه العقلى حتى سن العشرين ، يحيط ايضا بحياته كلها فيما بين العشرين والخامسة والثلاثين ، حين نجده يقيم فى

المعرة خمس عشرة سنة بين (٣٨٣ هـ) و(٣٩٨ هـ)، وبها عاش تحت الحمدانية والفاطمية والمرداسية والروم » .

نقلت كل هذا مضطرا على ما فيه من الركاكة والسقم ، ولكنهما لا يحولان دون ادراك حقيقة ظاهرة هي أن الاخبار المذكورة كلها حقائق مفروغ من دراستها ! وظاهر أن الدكتور لويس عوض لم يطلع على شيء قط مما كتب عن المعرى ، الا على كتاب الدكتور طه حسين وحده ، لا فى العربية ولا فى غيرها من الالسنة التى يقول عن نفسه انه درسها . وسادع خلطا كثيرا معقدا كتعقيد « الجو السياسى » الذى أعاش فيه شيخ المعرة ، لاكشف عن هذه الحقائق التى اراد ان يجعلها من البديهيات المسلمة، فهو يزعم أن المعرى تعلم بانطاكية وهو صبى ، وانه كان يختلف الى مكتبتها مع أسامة بن منقذ . وهذه هى القصة كما ذكرها الدكتور طه فى « ذكرى أبى العلاء » فى شأن رحلته الى انطاكية :

« نعم ، ان التاريخ لا يوقت لنا هذه الرحلة ، ولكن رواية تؤثر عن أسامة بن منقذ ، خبرتنا أنه لقى بانطاكية صبيا مجدورا ذاهب البصر ، يتردد على مكتبتها ، فامتحنه فبهره حفظه واستظهاره ، ثم سال عنه فقيل : هو ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان المعرى . ولا شك فى أن هذه الرواية ، اما ان تكون منتحلة ، واما ان يكون أسامة قد وقع فيها خطا موقع اسم أحد آبائه من أبناء منقذ ، فان أسامة ولد سنة ٤٨٨ ، اى بعد موت ابى العلاء بنحو اربعين سنة » .

وهذه بلية من البلايا ، فأستاذ جامعى ينقل من كتاب يعترف هو بلسانه أن صاحبه كان هو مفتاحه الاول وباللعجب ، الى ادب المعرى فى حداثته ، وفى شبابه ، وفى كهولته (أى هو مشغول بالمعرى طول حياته !!) ، ثم لا يقرأ الا أسطرا ثم يقفز فلا يرى ما قاله صاحب الكتاب في نقد هذا الخبر . اى بلية اكبر من هذه البلية على صاحب المنهج ؟ وليته اقتصر على هذه البلية ، بل زادها بلية أخرى ، فنص الخبر كما ذكره الدكتور طه ، يقول :ـ ان اسامة ابن منقذ لقى صبيا مجدورا يتردد على مكتبة انطاكية ، فياتى هو فيزعم أنه كان يختلف الى مكتبتها مع أسامة بن منقذ ، حتى يوهمك انهما قرينان أو صديقان ، ثم يتمم البلايا بادعاء وتظاهر فيقول « فيما روت كتب القدماء » كانه عرف ماهذه الكتب، وكانه زاد على الدكتور طه فاطلع على مالم يطلع عليه. وهذا بالطبع تنفخ غث يؤذى كل دارس . لانك عرفت أن ذكر « أسامة بن منقذ » لم يرد الا فى كتاب واحد هو كتاب « الصبح المنبى » وهو كتاب مطبوع للشيخ يوسف البديعى المتوفى بسنة ١٠٧٣ من الهجرة ، والبديعي نفسه يذكر القصة فى كتاب له آخر ، وهو مطبوع ، اسمه (أوج التحرى) فيقول : « نقل عن ابن منقذ » باسقاط « اسامة » والبديعى متاخر جدا ، وهو وان لم يصرح قد نقل ذلك عن ابن العديم (٥٨٨ ـ ٦٦٠) وهو من اعيان حلب، فى كتابه «الانصاف والتحرى » فى دفع الظلم والتجرى ، عن أبى العلاء المعرى » ، وهو كتاب مطبوع ايضا ، وفيه الخبر مسندا الى صاحبه الاول « **... حدثنى والدى رضى الله عنه وارضاه ، يرفعه الى ابن منقذ قال : كان بانطاكية ...** » **وساق الخبر بطوله ، فلما فرغ منه قال : « وهذه الحكاية فيها من الوهم مالا يخفى ، وذلك انه قال : كان بانطاكية خزانة كتب ، الى آخر ما ذكره . وهذا شيء لا يصح ، فان انطاكية اخذها الروم من أيدى المسلمين فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ، وولد أبو العلاء بعد ذلك باربع سنين وثلاثة اشهر ، فى شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وستين وثلاثمئة ، وبقيت انطاكية فى ايدى الروم الى أن فتحها سليمان بن قطلمش ، فى سنة سبع وسبعين واربعمئة ، وكان أبو العلاء قد مات قبل ذلك فى سنة تسع واربعين واربعمئة . واخلاها الروم من المسلمين حين استولوا عليها ، فلا يتصور ان يكون بها خزانة كتب ، وخازن ، وتقصد للاشتغال بالعلم . ويحتمل عندى أن يكون هذا بكفر طاب ، فقد كانت كفر طاب مشحونة باهل العلم ، وكان بها من يقرا الادب ويشتغل به قبل ان يهجمها الفرنج ، وهجمها الفرنج فى سنة اثنتين وتسعين واربعمائة، وكانت لابى المتوج مقلد بن نصر بن منقذ فى أيام أبى العلاء ، فلعله تصحف كفر طاب بانطاكية وتصحيفها غير مستبعد ، فان كان كذلك ، فابن منقذ الحاكى لهذه الحكاية هو ابو المتوج مقلد ابن نصر بن منقذ ، أو ابوه نصر ، وكفر طاب قريبة من معرة النعمان** » ، ثم ذكر احتمالا آخر أن يكون ذلك بحلب ، واستدل عليه . وقد أطلت بنقل هذا لترى اى منهج كان يسيرعليه علماؤنا فى نقد الاخبار منذ اكثر من سبعة قرون ونصف ، على عهد ابن العديم ـ اقول: لو عرفت هذا فانت بالخيار فى وصف

عمل الدكتور لويس عوض وقوله بأنه تنفخ غث ، أو علم مستحدث .

هذا وابن العديم يستنكر ان تقصد انطاكية للاشتغال بالعلم ، والدكتور لويس عوض ، يريد الناس على ان يسلموا له ان اباالعلاء « تعلم بها وهو صبى » . وهذا لا يصح بالطبع . ولو ادعى انه ممن كشف عنه الحجاب فعلم علم الماضي والحاضر والمستقبل ، وصدر « ديكريتو » بانه من القديسين لان هذا شيء لا يعرف الا بالخبر المسند ، لا بالتكهن والتنبؤ . ولو اطلع الدكتور على ماكتبه بعض المحدثين فى نقد هذا الخبر واشباهه فى شان رحلة ابى العلاء ، لعرف ، ان كان بقى له شيء من حسن الحفاظ على الامانة ، ان القاء هـذا القول ، بهذه الصورة، أمر مستشنع . ومع ذلك، فانى لم أتناول نقد هذا الكلام الا من وجه واحد، أما الوجوه الاخرى فسادعها الى حينها .

ثم تجيء بلية أخرى أكبر من أختها ، اذ يقول : «.... وقد تعلم المعرى فى اللاذقية . كما تعلم فى انطاكية ، ففيما روى القفطى والذهبى أنه نزل بدير فيها ...» ، الى آخر مانقلته آنفا ، وهو بلا شك أيضا لم يعرف هـذا الا فى كتاب الدكتور طه حسين . وكتاب الدكتور طه الف منذ اكثر من خمسين سنة اى فى نحو سنة ١٩١٣ ، ونشرت بعد ذلك كتب كثيرة من أصول المراجع لترجمة أبى العلاء لم يطلع عليها الدكتور طه يومئذ ، هذا فضلا عن انه كتب كتابه وهو دون الخامسة والعشرين من عمره، أطال الله بقاءه ، وعسى أن يكون الدكتور اليوم لايرضى عن كثير مما كتب يومئذ . ويرى ، وهذا هو العهد به ، أن لو أطاق لأعاد كتابة ما مضى على الوجه الذى يرتضيه بعد أن استحكمت قوته ، واتسع علمه . وسأقص قصة ذلك بايجاز :

فبين ايدينا اليوم من الكتب التى ترجمت لأبى العلاء ، اكثر من ثلاثين كتابا ، من بينهم القفطى والذهبى اللذين ذكرهما الدكتور طه ، واتكا عليهما الدكتور لويس عوض . وأى دارس جامعى مبتدىء، مفروض فيه ان يضع هذه التراجم جميعا بين يديه ، ويرتبها ترتيبا تاريخيا ليعرف مصادر الأخبار التى جاءت فيها . واليك بيانها مختصرا :

الثعالبى (٣٥٠ — ٤٢٩) ، الخطيب البغدادى (٣٩٢ — ٤٦٣) ، الباخرزى (٠٠٠ — ٤٦٧) ، والثلاثة معاصرون لأبى العلاء . ثم السمعانى (٥٠٦ — ٥٦٢) ، وابن الانبارى (٥١٣ — ٥٧٧)، وابن الجوزى (٥١٠ — ٥٩٧) ، والقفطى (٥٦٨ — ٦٤٦) ، وياقوت الحموى (٥٧٤ — ٦٢٦) ، وابن الأثير (٥٥٥ — ٦٣٠) ، وسبط ابن الجوزى (٥٨١ — ٦٥٤) ، وابن العديم (٥٨٨ — ٦٦٠) ، وابن خلكان (٦٠٨ — ٦٨١) ، وأبو الفداء (٦٧٢ — ٧٣٢) ، والذهبى (٦٧٣ — ٧٤٨) ، وابن الوردى (٠٠٠ — ٧٤٩) ، وابن فضل الله العمرى (٧٠٠ — ٧٤٩) ، والصفدى (٦٩٦ — ٧٦٤) ، واليافعى (٧٠٠ — ٧٦٨) ، وابن كثير (٧٠١ — ٧٧٤) ، وابن الشحنة (٧٤٩ — ٨١٥) ، وابن حجر (٧٧٣ — ٨٥٢) ، والعينى (٧٦٢ — ٨٥٥) ، وابن تغرى بردى (٨١٣ — ٨٧٤) ، والسيوطى (٨٤٩ — ٩١١)، وعبد الرحيم العباسى (٨٦٧ — ٩٦٣) ، وابن العماد الحنبلى (١٠٣٢ — ١٠٨٩) ، ويوسف البديعى (٠٠٠ — ١٠٧٣) ، والعباسى الموسوى (فى القرن الثانى عشر الهجرى)

فأى استاذ جامعى ، حقيق بان يسمى استاذا يستطيع ان يغفل الاطلاع على هذا كله، ويقتصر على نقل من كتاب محدث ألف منذ اكثر من خمسين سنة ويتجاهل كل ما كتبه المحدثون بعد هذا الكتاب ، الا أن يكون فى دراسته ملفقا متعجلا طياشا لا يرعى لشيء حرمة . وانا لا استعمل هذه الكلمات الا لأن الأمر خرج عن طوره ، وهدد مستقبل الفكر الأدبى تهديدا مفزعا لا يعلم عواقبه الا الله . وسأريك مكان هذه القصة التى القاها الدكتور لويس عوض ملقى البديهيات التى فرغ من التسليم بها . فالثلاثة الاول الذين عاصروا شيخ المعرة : ومنهم الخطيب البغدادى الحافظ المؤرخ ، لم يذكروا هذه القصة ، مع انهم أشاروا الى مقالة بعض الناس فى الحاده . ثم الثلاثة الذين يلونهم ، فقد أساءوا القالة فى دين ابى العلاء بتحامل شديد . ومع ذلك لم يذكروا هذه القصة

وآخرهم ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧، وبين وفاته ووفاة المعرى ١٤٨ سنة ، ثم يجيء سابعهم ، وهو القفطى الذى ذكره الدكتور لويس نقلا عن الدكتور طه بلا ريب ، وبين مولده ووفاة أبى العلاء مائة وعشرون سنة ، فهو أول من يعقد فى كتابه « انباه الرواة » فصلا طويلا فى ترجمة ابى العلاء (ص ٤٦ — ٨٣) ، واكثر اخباره فيها مسندة الى قائل او راو الا هذا الخبر الذى اسوقه بنصه :

« ولما كبر أبو العلاء ، ووصل الى سن الطلب ، أخذ العربية عن قوم من بلـده ، كبنى كوثر ، ومن يجرى مجراهم من أصحاب ابن خالويه وطبقته ، وقيد اللغة عن أصحاب ابن خالويه أيضا . وطمحت نفسه الى الاستكثار من ذلك ، فرحل الى طرابلس الشام ، وكانت بها خزائن كتب قد وقفها ذوو اليسار من أهلها ، فاجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس ، وكان به راهب يشدو شيئا من علوم الأوائل ، فسمع منه أبو العلاء كلاما من اوائل أقوال الفلاسفة ، حصل له به شكوك لم يكن عنده مايدفعها به ، فعلق بخاطره ما حصل به بعض الانحلال ، وضاق عطنه عن كتمان ما تحمله من ذلك ، حتى فاه به فى أول عمره ، وأودعه أشعارا له ، ثم ارعوى ورجع ، واستغفر واعتذر ، ووجه الاقوال وجوها احتملها التأويل ».

فهذا خبر يحمل فى خلاله تكذيبه ، وسياقه مضطرب ومناقض للواقع ، كما سابين ذلك فيما بعد . وقد انفرد به القفطى وهو مصرى، وبين مولده ووفاة أبى العلاء مائة وعشرون سنة ، لم يذكره أحد من معاصرى شيخ المعرة مع تحاملهم عليه وذكرهم الحاده ، ولا احد ممن جاء بعدهم الى وفاة القفطى سنة ٦٤٦ . ويأتى مع القفطى المصرى ياقوت الحموى معاصرا له (٥٧٤ – ٦٢٦) ، وهو مؤرخ متمكن شديد التحرى ، وهو شامى حموى قريب من ديار شيخ المعرة ، خبير بأخبار أهل الشام ، فيعقد فى كتابه «ارشاد الاريب» ترجمة لأبى العلاء مطولة جدا (١ : ١٦٢ – ٢١٦)، فلا يذكر هذا الخبر ، مع درايته التامة باحوال اهل الشام ، ومع ما كتبه من اخبار كثيرة فى الحاد أبى العلاء. ويتمادى الزمن بالمؤرخين لشيخ المعرة ، وهم من كبار المشتغلين بالتاريخ ، من ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ ، الى سبط بن الجوزى ، الى ابن خلكان ، الى أبى الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ ، فيذكرونه بالسوء ، حتى رماه بعضهم بالكفر ، ثم لا يذكر احد منهم هذه الحكاية .

حتى اذا جاء الذهبى ، وهو مؤرخ من كبار مؤرخى الاسلام ، فيذكر ترجمة ابى العلاء فى كتابه « تاريخ الاسلام » ويسوقها بهذا اللفظ :

« أخذ العربية عن اهل بلده كبنى كوثر واصحاب ابن خالويه ، ثم رحل الى طرابلس ، وكانت بها خزائن كتب موقوفة . فاجتاز باللاذقية ، ونزل ديرا بها كان به راهب له علم باقاويل الفلاسفة ، سمع ابو العلاء كلامه ، فحصل له به شكوك ، ولم يكن عنده ما يدفع به ذلك ، فحصل له بعض انحلال وأودع ذلك بعض شعره . ومنهم من يقول : ارعوى وتاب واستغفر ».

وواضح جدا انه انما نقل عن « القفطى » الذى انفرد الى سنة ٦٤٦ برواية هذا الخبر ، ولكنه اختصر وغير بعض الفاظه . ومهم للدارس الجامعى بل لكل ذى عقل لم تتلفه رعونة أو ادمان ، ان ينظر فيما فعله الذهبى . فان القفطى يقول : « وكان به راهب يشدو شيئا من علوم الاوائل ، فسمع منه ابو العلاء كلاما من اوائل أقوال الفلاسفة » ، وفى هذا بيان واضح على انه راهب مبتدىء قليل البضاعة، قد تخطف كلمات من اوائل (أى من مبادىء) أقوال الفلاسفة . فجاء الذهبى فقال فى صفة الراهب : « كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة» فرفع باختصاره شان هذا الراهب المبتدىء الشادى بما يوهم ان له علما باقاويل الفلاسفة . وهذا عمل غير مرضى ، واساءة من الذهبى .

وخبر القفطى مبين أشد الابانة عن أن أبا العلاء كان يومئذ فى سن الطلب ، وأنه « حصل له به شكوك لم يكن عنده ما يدفعها ، فعلق بخاطره ما حصل له به بعض الانحلال ، وضاق عطنه عن كتمان ما تحمله من ذلك ، حتى فاه به فى أول عمره واودعه أشعارا له » ، فحذف الذهبى ذكر السن وانه فاه به فى أول عمره ، فاوهم ان ذلك كان فى وقت متأخر وهذه اساءة اخرى من جراء الاختصار ، سيظهر أثرها فيما بعد .

ثم يأتى ابن الوردى ، وهو مؤرخ معاصر للذهبى، ومن معرة النعمان نفسها ، فلا يذكر هذه القصة، وكذلك لم يذكرها ابن فضل الله العمرى ، وهو معاصر لهما ، ولكن يأتى الصفدى ، وهو معاصر لهما ، فيذكرها باختصار أشد ، يقول فى كتابه الوافى بالوفيات ، وكتابه نكت الهميان (ص ١٠٣) « وكان رحل أولا الى طرابلس ، وكانت بها خزائن كتب موقوفة، فاخذ منها ما أخذ من العلم ، واجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب له علم بأقوال الفلاسفة سمع كلامه ، فحصل له بذلك شكوك»

فاختصر كلام الذهبي كما هو واضح ، ونقل عنه بلا ريب . ويجيء اليافعي وهو معاصر لهم ، فلا يذكر شيئا ، ويذكره معاصر لهم آخر ، هو ابن كثير فيسوق العبارة هكذا : « ويقال انه اجتمع براهب في بعض الصوامع ، في مجيئه من بعض السواحل، آواه الليل عنده ، فشككه في دين الاسلام » ، فجاء بلفظ آخر مخالف ، واغفل ذكر علم الراهب باقوال الفلاسفة ، وجعل نزوله بالراهب ليلة واحدة ، وذكر ذلك كله بلفظ التمريض والارتياب « ويقال» وينقضي الزمن ما بين ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ ، ويأتي ابن الشحنة ، وابن حجر ، فلا يذكران شيئا الا العيني وهو معاصر لهما فينقل ما قاله ابن كثير بلفظه اى الى سنة ٨٥٥ . ثم يغفله ابن تغري بردي ، ويذكره السيوطي المتوفى سنة ٩١١ ، نقلا عن الصفدي ، ثم عبد الرحيم العباسي (توفي ٩٦٣)، فيردد كلام الصفدي ، ثم يغفله ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩) ، ولا يذكره الا العباس الموسوي (المتوفى في القرن الثاني عشر).

وبين جدا من هذا السياق المختصر لتسلسل القصة التاريخي انه لم يذكره ممن ترجم لأبي العلاء سوى تسعة ، من ثمانية وعشرين ، وانه قد انقضى ما بين الثعالبي الى الجوزي ، اى الى سنة ٥٩٧، ما بين معاصرين لشيخ المعرة وغير معاصرين ، والى ما بعد وفاة أبي العلاء بأكثر من مائة وخمسين سنة، والخبر غير معروف، مع اغراق بعض هؤلاء في النيل من شيخ المعرة ودينه ، حتى اذا جاء القفطي (٥٦٨ـ ٦٤٦) انفرد وحده برواية الخبر بلا اسناد الى احد ، وفيه علل قادحة في صدقه ، سابينها فيما بعد هذه المقالة . ومن اشد ما يشكك فيها بعد ذلك ان ابن العديم المعاصر للقفطي المصري (٥٨٨ـ٦٦٠) ، وهو مؤرخ شامي مستوعب لاخبار الشام واهله، ويؤلف كتابا في « دفع الظلم والتجري ، عن أبي العلاء المعري » ، ويحشد فيه كل قدح قيل في الرجل اشد من هذا الخبر ، فلا يكون له علم به ولا معرفة .

فبأي وجه بعد ذلك، يأتي استاذ جامعي، يتبجح بذكر الاسماء ، ويحشدها من كل أوب وصوب ، ليوهم انه قد قرا ودرس واستوعب ومحص واستخلص ،فيعمد الى خبر انفرد بروايته القفطي، والثمانية الباقون نقلوا عنه نقلا مع بعض التصرف، واذن فهو خبر غريب لايسلم ، فيأتي هو بالخبر ملقى على ما يوجب التسليم به ، وهو مع كل ذلك منقول من كتاب محدث الفه صاحبه منذ اكثر من خمسين سنة ، وهو في نحو الخامسة والعشرين من عمره، وقبل ان تطبع الكتب التي ذكرناها آنفا فلم يطلع على شيء منها ، ومع ذلك أيضا فهو ينقله باختصار موهم مفسد ، لأن صاحب « ذكرى ابى العلاء » يقول :

« قال القفطي والذهبي : فمر في طريقه باللاذقية فنزل بدير فيها ، ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل ، فاخذ عنه ما شككه في دينه وفي غيره من الديانات . قال : ونم عليه بذلك شعر الصبا ، ثم استغفر وتاب ، والتمس الكلامه وجوها من التاويل قبلت منه . ولكنهما لم يرويا شيئا من هذا الشعر » هذا نصه . وواضح أنه لا القفطي ولا الذهبي قال ذلك، بل وصف القفطي الراهب بمايشعر بانه شاد مبتدىء يتخطف نبذا من علوم الاوائل، اى من مبادىء أقوال الفلاسفة ، وانه لا درس ولا فقه ولا علم ، كما قال الدكتور طه حين غير قول القفطي والذهبي الى لفظه هو . وهذا أمر غير حسن ، لا أظن الدكتور طه يرضى عنه اليوم ، لعلمي بما هو عليه من حب الأوبة الى مقالة الحق .

اما فعل الدكتور لويس عوض ، فليس فعل دارس ، جامعي ، لأنه نقل صدر كلام الدكتور طه فقال : « ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل » ، واقتصر على هذا ، واتبعه تفسيرا جديدا ، كأنه انكر لغة الدكتور طه لقدمها وغموضها وطولها فقال : « او باختصار أخذ عنه اليونانيات، فما علوم الاوائل هذه التي كانت تقرا في الاديرة تحت حكم الروم الا آداب اليونان وفلسفتهم في لغتها الاصلية » هكذا « خبطا لزقا » يا دكتور لويس !! ما اجراك على تاريخ الروم واليونان وتاريخ الأديرة ! واذا كنت على هذه جريئا كل هذه الجراة فليس بمستغرب ان تكون على تاريخ اهل الاسلام اجرا .

واذن ، باختصار كما يقول الدكتور لويس ، فهو في هذه الاسطر القلائل التي كتبها ، لم يفعل فعل استاذ جامعي ، بل ذكر « المنهج » في اول كلامه ايهاما ، ان لم اقل ترديدا لشيء سمعه قديما أيام كان يشدو آداب اللغة الانجليزية ، ولكنه بقى الى اليوم لا يدري ما هو ولا كيف يكون .

(سأتابع القول فيما بعد، لان العرض مستمر) .

محمود محمد شاكر

وحدة الدم العربي

فى الشام و العراق

للدكتور
احمد محمد الحوفى

يقوم صرح القومية العربية على عدة دعائم ، منها : وحدة الدم والنسب التى نعبر عنها أحيانا بوحدة الرس أو الجنس او العنصر ، ونريد بها ان المشتركين فى القومية يرجعون الى جد أعلى بعيد ، ينتسبون اليه او الى ذراريه ، وتسرى فى عروقهم جيلا بعد جيل دماء آبائهم الأولين ، فيصيرون كالاخوة وأبناء العم .

وهم بهذه الصورة كالجداول الكثيرة التى تتفرع من غدران أكبر منها ، على حين أن الغدران تتشعب من ترع كبار ، وهذه الترع تستمد ماءها من النهر ، وهنالك بحيرة يستمد النهر منها ماءه .

أو هم كالأفنان التى تشعبت وتكاثرت من أغصان أكبر منها ، وقد تفرعت هذه الأغصان من عدة شماريخ تجمعها كلها ساق واحدة لدوحة تستمد غذاءها من جذور واحدة . فالبحيرة التى ينبع النهر منها ، والجذور التى تمد الدوحة بالغذاء والماء ، تمثل الأصل البعيد الذى انحدر القوم منه ، وانتسبوا اليه .

ومعنى هذا أن القوم تتميز فى عروقهم دماء انتقلت من الخلف الى السلف على مر الزمن ، وان امتزجت بها دماء من جنس آخر .

- ١ -

وقد ذهب بعض الباحثين فى القومية العربية الى أن وحدة الجنس ليست من دعائم القومية مستدلين بأن الحقائق التاريخية تنقض وحدة الجنس على هذه الصورة ، لأن الأجناس قد اختلط بعضها ببعض بوسائل شتى كالحروب والهجرات والجوار والمصاهرات والسبى الرحلات ، فتمازجت دماء قوم بقوم أو أمة بأمة ، حتى صار من الخطأ أن يقال ان أمة من الأمم تجرى فى عروق بنيها دماء نقية خالصة ، غير مشوبة بدماء من أمة أو أمم أخرى .

واستدلوا أيضا بأن علم السلالات البشرية (الأنثروبولوجيا) ينقض وحدة الجنس ، لأنه ثبت من الأبحاث التى أجراها كثير من العلماء المختصين فى أصقاع شتى أن كل أمة مكونة من أفراد يرجعون الى أصول متعددة ، فلا توجد أمة منحدرة كلها من أصل واحد ، حتى ان أعرق الأمم الحالية وأقدمها فى الوحدة السياسية والتجانس القومى بعيدة عن وحدة الدم والأصل بعدا كبيرا .

وهم يضربون على ذلك أمثلة ، منها أن العراقيين والشاميين والمصريين والسودانيين أركان فى صرح العروبة ، ولكنهم لا يرجعون جميعا الى الجنس السامى ، بل لاينتمون الى جد عربى واحد ، ولاترى فى أجسامهم دماء عربية واحدة .

وكذلك الانجليز يرجعون الى السلتيين والنورمانديين والجرمان ، كما يرجع الفرنسيون والألمان وغيرهم الى عدة أصول .

يقول رمزى موير : « لا ترى أمة على الأرض تخلو من مزيج الأجناس ، ولم يسبق قط أن كان فى الدنيا جنس أفلح فى ضم أفراده جميعا الى أسرة قومية واحدة ؛ ويكفى أن تنسى العناصر التى تتألف منها الأمة أصولها المختلفة ، وألا يفصلهم فيما بينهم فاصل ظاهر الرسوم والصلات . ولنا أن نقول ان امتزاج الأجناس لا يمنع الأمة أن تنمو فيها روح قومية ما دامت أجناسها مدمجة فيها مشتركة بروابط الزواج والروابط الأخرى » .

وأغلب الظن أن الذين استبعدوا وحدة الرس أو الجنس من دعائم القومية العربية شكوا قليلا أو كثيرا فى رجوع العرب الى أصل واحد ، وفى أن الدم العربى يسرى فى أجزاء الوطن العربى كله ، أو هم أنزلوا

الأكفاء بوحدة اللغة والثقافة والتاريخ ، لأنها أقوى دعائم القومية .

ولكن لي وجهة نظر أخرى تثبت أن العرب من جنس واحد ، باعتبار أن الدم العربي غالب فيهم ، وترى أن وحدتهم في الجنس دعامة أخرى في صرح قوميتهم .

وسأقتفي سريان الدم العربي في الاقليم كله قبل الاسلام ، وبعد الاسلام .

اما ان الدم العربي سرى الى اصقاع الوطن العربي ، ومازج دماء سكانه قبل الاسلام وبعد الاسلام ، فتلك حقيقة عظيمة الدلالة في هذا المقام ، لا سبيل الى انكارها او اغفالها او التهوين من شأنها .

وجدير بنا أن نقتفي آثار مسراه في كل اقليم ، ولنبدأ بالشام .

- ٢ -

ليس بين علماء الأجناس خلاف في أن المهد الأول للعرب هو نجد والحجاز والعروض واليمن وما حول هذه البقاع ، ومن هذا المهد الأول بدأت الهجرة الأولى الى شمال **الجزيرة ، والى فلسطين وسورية ومشارف** الشام والعراق حتى تخوم ايران ، ثم الى بلاد الحبشة ووادي النيل . ثم قفلت جموع من هذه الأصقاع الى المواطن الأول ، ثم هاجرت ، ثم عادت .

وهكذا كانت الجزيرة كينابيع النهر ، يتدفق منها الماء الى المصب ، وفي بعض الأحيان تعود بعض الجداول بماء من النهر الى ينابيعه . واستمرت الهجرات من المهد الى الأطراف ومن الأطراف الى المهد عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل .

وقد تمثلت هذه الهجرات في جماعات محدودة ، نزحت في موجات متلاحقة من الصحراء الى البقاع الخصيبة المتاخمة لأطراف الجزيرة ، وفي جموع زاخرة كثيرة آثرت الانتقال من البادية ، او اضطرت اليه ، لأن المطر حبس عنها اعواما ، فلم تطق البقاء او لأن عدد السكان زاد على ما تمدهم به البيئة من غذاء ، ولهذا يلاحظ أن قبائل كانت ترتحل كلها رجالا ونساء واطفالا ، ومعها حيواناتها ومتاعها ، ثم ترتضي مهاجرها الجديد مقاما لها .

لقد ارتحل الى الشام قبل الميلاد بعدة قرون الثموديون واللحيانيون والأنباط والتدمريون، ثم وفدت قبل الاسلام قبائل من قضاعة وبلي وتغلب وكلب وبكر وغسان وغيرها .

وقد أسس العرب بالشام ثلاث دول :

الأول دولة الأنباط ، التي اسسها العرب الذين هاجروا من وسط الجزيرة حوالى سنة ٥٠٠ ق.م ، واستعمروا المنطقة التي تمتد من الفرات الى البحر الاحمر ، وتفصل ما بين بلاد الشام الى جزيرة العرب ، وكان اليونان والرومان يسمونها بلاد العرب الصخرية ، نسبة الى عاصمتها سلع او بطرا (الحجر). وبقيت هذه الدولة إلى ان دخلت في حوزة الرومان سنة ١٠٦ ق.م .

اما الثانية فهي دولة تدمر التي اقامها العرب بالشام ، وكانت عاصمتها تدمر في الشمال الشرقي من دمشق ، وهي التي سماها اليونان والرومان (بلميرا) .

وقد انتعشت تدمر بعد سقوط بطرا ، وكان لها اثر عظيم في نصر الرومان على الفرس في الحروب التي دارت بينهم (٢٦٥م) ثم تنكر لها الرومان وحاربوها في عهد ملكتها زينب (زنوبيا) فانتصرت عليهم فعاودوا الحرب ، وهزموها سنة ٢٧٢ م ، وبقيت خاضعة للرومان زهاء ثلاثة قرون الى ان فتحها خالد بن الوليد .

وهؤلاء الأنباط والتدمريون عرب ، لأن مؤرخي اليونان المعاصرين لهم ذكروا أنهم عرب ، ولأن أسماء ملوكهم عربية ، كالحارث وعبادة ورئبال وأذينة ووائل وعدي وعميرة وزينب ، ولأنهم كانوا يتكلمون العربية .

ولا تتعارض عروبتهم مع ما وجد من آثارهم مكتوبا باللغة الآرامية ، لأنها كانت لغة الكتابة في ذلك العهد ، وكان هذا شأن الدول القديمة في الشرق ، وبخاصة فيما يتصل بالآثار السياسية والدينية ، حتى انه يصح لنا أن نقول ان اللغة الآرامية كانت دولية . وفي التوراة مايؤيد أن الاسرائيليين كانوا يتكلمون بها لما حاصر سنحاريب بيت المقدس ، وليس هذا بقادح في نسبهم .

وكذلك كان عرب الحيرة يتكلمون العربية، ويستعملون السريانية في كتابتهم غالبا ، وكان الغساسنة يستعملون الآرامية لغة ثانية لهم .

وأما الدولة الثالثة فهي دولة الغساسنة التي أسسها بنو جفنة حينما نزلوا بمشارف الشام ، وفيها الضجاعمة من قضاعة ، فغلبوهم على ما في أيديهم ، وانشأوا لأنفسهم دولة فيما هو الآن البلقاء وحوران ، عرفت بدولة الغساسنة أو بني غسان نسبة الى ماء غسان الذي كانوا قد انتهوا اليه في هجرتهم من الجنوب الى الشمال ، وليس من المستطاع تحديد مولد هذه الدولة ، لأن الخلاف في عدد ملوكها كبير متشعب .

وكانت عاصمة ملكهم بصرى ثم جلق او دمشق .

فلما كان الفتح الاسلامي زخرت بلاد الشام بالقبائل العربية من جميع الأصقاع قحطانيين وعدنانيين ، مقبلة من جزيرة العرب او من العراق ، واقام بعضها بالبادية ، واقام بعضها بالمدن ، وامتزجت دماؤها بدماء سابقيها ، وخالطت دماء هؤلاء واولئك دماء من لم يكونوا عربا من السكان الأصليين ، فصارت البلاد مصبوغة بالصبغ العربي العام الذي لا شك فيه ، ولا يميزها سواه .

وما زالت الهجرات الجماعية تتكرر الى العصر الحديث ، فان قبيلتي شمر وعنزة هاجرتا من نجد الى الشام في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بعد الميلاد .

- ٣ -

كذلك كان العراق مهاجر قبائل عربية قبل الميلاد بزمن سحيق .

هاجرت اليه قبائل قضاعة ومنها تنوخ ، ثم أقامت به قبيلة اياد وقبيلة ربيعة . فلما تهدم سد مأرب في القرن الثالث بعد الميلاد رحلت الى العراق قبائل كثيرة من اليمن .

ولقد أسس العرب في منطقة الحيرة مملكة كالممالك العربية التي أسسها اخوانهم في الشام .

ومن ملوكها امرؤ القيس بن عمرو (٢٨٨-٣٢٨م) والنعمان الثالث (٥٨٥ - ٦١٣ م). وما زالت دولتهم قائمة - وان خضعت للفرس - الى أن فتحها خالد بن الوليد سنة ١٣هـ (٦٣٤ م) .

ثم كان الفتح الاسلامي ، فتقاطرت القبائل العربية على العراق من نزارية ويمنية ، حتى ملأت المدن والبادية ، فصار الاقليم عربيا خالص العروبة ، لا يتميز بغيرها ، ولا ينتسب الى سواها .

- ٤ -

وانه لمن الطبيعي أن المهاجرين السابقين والمهاجرين الذين لحقوا بهم في الشام والعراق كان يختلط بعضهم ببعض ، وكان يصهر بعضهم الى بعض .

ولعله قد استبان من هذا العرض الوجيز أن الشام والعراق كليهما عربي النسب ، يرجع اهلوهما الى عدنان والى قحطان ، وان عروبتهما بدأت منذ زمن بعيد قبل الاسلام ، وجعلت تتسع وتعمق على مر الأحقاب وتتابع الأجيال ، فلما استهل الاسلام زاد العروبة عمقا واتساعا ، فصار كل من الاقليمين عربيا عريقا في عروبته ، وصار اهلوه يعتزون بعروبتهم ، ويشعرون بأنهم واخوتهم في الوطن العربي يرجعون الى أب عربي سرى دمه في عروقهم عبر الزمان .

د. احمد محمد الحوفي

كفاح هادف

ولكن ؟

بقلم : محمد جلال كشك

في كل لغة الفاظ تندثر ، وأخرى تكتسب مفاهيم حديثة .. مثلا الفاظ : خطة .. وتخطيط ، ومخطط .. فقد كثر استعمالها بمفهوم جديد يختلف عن تفاسيرها في القواميس العربية .

ومن الظواهر الجديرة بالتامل أن كلمة مخطط تقترن في اذهاننا بالشيء الشرير .. فنحن نقول : المخطط الاستعماري ، أو الصهيوني ، أو الرجعي .

وقد يكون لذلك أكثر من تفسير .. ولكني احب أن أقف عند هذه الخاطرة .. لقد كان أعداؤنا هم الأسبق الى التخطيط .. بينما كنا نحن ، لحسن نوايانا وطيبة قلوبنا وأيضا سذاجتنا وعدم جديتنا ، نكتفي برد الفعل او مواجهة الطعنة في حينها ، دون ان تمتد أبصارنا الى اليد التي تطعن ، والراس الذي يدبر الطعنة ويختار لها المقتل .. بل كان بعضنا يبتسم في دهشة استنكارية اذا ما حدثوه عن مخطط ضد العروبة والاسلام ، مخطط ينفذ عبر مئات السنين في دأب كدأب الجرذان تقرض سد مأرب العظيم او كدابة الأرض تأكل منسأة سليمان الحكيم .. وأغلب الظن أن بعضا من المعاصرين ، يذكرون في مرارة ، أنهم ابتسموا عندما حدثهم العارفون عن مخطط صهيوني ينفذ من أيام السلطان عبد الحميد لاقتطاع قطعة حية من الجسم العربي .. حتى رأوا السكين بأعينهم تقطع اللحم الحي ..

على أية حال لقد انتهت هذه المرحلة .. وعرفنا بيقين أننا نواجه مخططا واسعا جنوده الأساطيل والمستشرقون ، والدبابات والمقالات .. مخططا عمره قرون ، وما زال ينفذ ، مخططا يؤمن أن العدو الأكبر هو الاسلام وان قوة الاسلام وعزته في العرب والعربية ..

ونحن أيضا وعينا اهمية التخطيط ، واصبحت لنا أكثر من خطة .. وليس مصادفة أن ثورتنا العربية هي أول من استخدم تعبير الخطة في معناه الحديث ، على أوسع نطاق .. والعمل وفقا لمخطط يحتم علينا أن نقيس كل أفعالنا وأن ندرس كل تصرفاتنا لا على جيلنا ، بل وعبر عشرات القرون .. فهكذا يفعل الأعداء ..

هذا الحديث .. ساقني اليه صدور الطبعة الرابعة من كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » عن سلامه موسى للنشر والتوزيع .. تراث من الكفاح الهادف ..

ولقد استوقفتني سنوات صدور الطبعات الأربع : ١٩٤٥ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٤ .

انها تستحق التامل حقا ..

في ١٩٤٥ كانت نهاية الحرب العالمية الثانية .. وبدأت الشعوب كلها تتحرك من أجل تحديد مصيرها ، تتحسس الأرض من تحتها ، لتتثبت من جذورها استعدادا لمطاولة السماء ، ولفرض وجودها في هذا العالم الملىء بالاحتمالات ، والذي كانت تتجاذبه قوتان القوميات الناهضة ، والاستعمار المنهار ، الذي يتشبث بوجوده الكريه ، ويفرض حضارته الباغية بالحديد والنار ..

وكانت أمتنا العربية تقف لحظة حاسمة في تاريخها ، فما كاد الصوت العربي يرتفع مطالبا بحقه في الحرية والاستقلال ، في ظل انتصار معسكر الديموقراطية ، كما كانوا يسمونه ، حتى انهال عليها الرصاص بوحشية نعرفها في حضارة الغرب المتمدين ، وسقط في ليلة واحدة ٦٠ الف شهيد جزائري ، وضربت بيروت ودمشق بالمدافع ، وفتحت السجون للاحرار في مصر والعراق .. وخرج المخطط الصهيوني في فلسطين من مرحلة التسلل الى مرحلة الغزو العلني .. وصدرت الطبعة الأولى من « البلاغة العصرية واللغة العربية » .

وفى ١٩٥٣ .. كان أعداء العروبة قد أفاقوا على امكانيات الثورة المصرية ، وبدأ الالتفاف حولها ، فى محاولة لخنقها بقنابل الصوت والدخان ، ومحاولات تضليلها باغراقها فى الشعارات والفلسفات لتنتزع من جذورها العربية فتطوحها أعاصير الاستعمار .. وقد أثبتت تجارب التاريخ أن رعب الاستعمار الأكبر يكمن فى تحرر مصر ، لأن ذلك بعث القومية العربية ، وكتاب الغرب أنفسهم يقولون ان عزة العرب تعنى قوة الاسلام .

وكانت الثورة الجزائرية تختمر ، والمغرب العربى كله يضطرم بالثورة .. ثورة عربية ضد محاولة الفرنسة أو التغريب .. ضد محاولة ابادة الكيان العربى بقطع لسان العرب ، بلويه حتى ينطق بالفرنسية .. **وصدرت الطبعة الثانية من البلاغة العصرية واللغة العربية .**

وفى ١٩٥٨ ... كانت الثورة الجزائرية تمر بأعنف لحظاتها .. بعد أن فضحت كل دعاوى وحدة الكفاح المشترك بين الشعب الجزائرى والشغيلة الفرنسيين.. وارتفع لواء القومية العربية الاسلامية ضد دعاة الفرنسة ، بل اعتبر المثقفون الجزائريون أنفسهم فى منفى اللغة الفرنسية أو سجناء اللسان الفرنسى.. وكافحوا واستشهدوا للعودة الى لسانهم العربى ..

وكانت معركة التعريب فى تونس والمغرب ، تمر بمحنة قاسية وسط تأكيدات بالفشل من اعداء العرب والعروبة .. وراية الوحدة العربية ترتفع خفاقة ، وسط أعاصير وعواصف من دعاة التشكيك فى قدرة العرب على الوحدة والبعث الحضارى ... تشكيك ، حجته الكبرى ، طعن تاريخنا والافتئات عليه .. فالذين لا تاريخ لهم .. لا مستقبل امامهم .. **وصدرت الطبعة الثالثة من كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » .**

وهو بحق كما يصفه ناشروه « كفاح هادف » .. وهو كتاب يصدر عن وعى كامل بما يريد .. يقول مؤلفه فى التمهيد .. « ان أعظم المؤسسات فى أية أمة هى لغتها » .. ولا يريد الكتاب أقل من تصفية هذه المؤسسة أو بيعها للمساهمين الأجانب ... وحتى لا نتهم بالتجنى نستعرض اصلاحات « سلامة موسى » المقترحة للغة العربية ..

● الغاء الفصحى واستبدال العامية بها .

● الغاء الاعراب وقواعد النحو .

● ادخال الألفاظ الأجنبية ورفض أى محاولة للتعريب .

● الغاء الحروف العربية واستخدام الحروف اللاتينية كمقدمة لالغاء اللفظ العربى أصلا .. لأن « المصدر اللاتينى أو الاغريقى يمكن من استخدام الزوائد والأصول والمقاطع المشتقة من اللغتين الاغريقية واللاتينية فتخلق المعنى الجديد من الكلمة القديمة » ، ولا يعقل أن سلامه موسى كان يقصد اضافة ER مثلا لكلمة صنع العربية حتى ولو كتبها بحروف لاتينية بل كان يهدف الى الفعل اللاتينى نفسه .

وحتى تتم تصفية « مؤسسة » اللغة العربية .. كال سلامه موسى أعنف حملة ضد اللغة العربية ومن خلفها العرب وتاريخ العرب والحضارة العربية ..

فاللغة العربية يقول عنها سلامه موسى : « هذه اللغة لا ترضى رجلا مثقفا فى العصر الحاضر .. اذ هى لا تخدم الأمة ولا ترقيها ، لأنها تعجز عن نقل مائة علم من العلوم التى تصوغ المستقبل » .

« حروفنا الناقصة التى لاتخدمنا الخدمة اللازمةفى عصرنا » .

« لغتنا شاذة تحتاج الى اجراء شاذ »

« لن يمكن التأليف العلمى باللغة العربية بحروفها الحاضرة » .

« لأن لغتنا العربية بوضعها الحاضر واعتمادها على الحروف العربية لا يمكن ان تؤدى هذه الخدمة »

« ولغتنا خرساء (والخرس هنا أوضح وأخطر) من حيث اننا جعلناها مثل لغة الكهان جامدة لاتتغير. وكانت نتيجة ذلك ان فى العالم مائة وعشرين علما وفنا لا تنطق لغتنا العربية الا بنحو عشرة أو عشرين منها ولكنها خرساء فى سائرها » .

« الجهل لنحو مائة علم وفن لا يمكن أن نعرفها الا اذا تركنا لغتنا ونطقنا بلغة أخرى » .

وبالطبع هو لايكلف نفسه عناء احصاء هذه العلوم والفنون التى تعجز لغتنا العربية عن النطق بها ..

ونحن أيضا لا يعنينا ذلك ، لأننا نعرف أنها كلمات تقال للتهويش ..

لغتنا قادرة على استيعاب كل العلوم والفنون ، وفي ١٩٥٨ عام الطبعة الثالثة ، صدر قرار تعريب التدريس في كليات الطب والهندسة والزراعة .. واليوم ونحن نستقبل الطبعة الرابعة نستطيع أن نقول ان التجربة قد نجحت في مصر وتشق العزيمة الصادقة طريقها في الجزائر أيضا واذا كانت بعض العلوم تدرس بلغات أجنبية فلأن مراجعها أجنبية بسبب تخلفنا العلمي والصناعي لاتخلفنا اللغوي.. فما من منصف يقول ، ان لغتنا متخلفة عن اليابانية او الصينية ، اللتين لم تصلا بعد الى اكتشاف الحروف ، ومع ذلك فقد تعلمت اليابان كل المعارف والعلوم ، والصين صنعت قنبلة ذرية وفي طريقها الى الهيدروجينية دون ان ترطن احداهما بغير لغة الآباء .. بل حتى اسرائيل التي يشيد بها كتاب « سلامه موسى » في طبعاته الأربع فيقول عنها : « تجاورنا امة علمية قد أنشأت مجتمعا علميا » .

أولا .. اسرائيل لم تنشىء مجتمعا علميا .. لأن وجودها ذاته يتنافى مع العلم .. فضلا عن وصفها بأمة علمية .. كأن هناك امما علمية وأخرى غيبية .

ثانيا .. هل استخدمت اسرائيل لغة لاتينية متمدينة كما يدعونا سلامه موسى .. ام أخرجت من الحفريات حقا .. لغة تدعوها قومية ... علمت وتعلمت بها ؟! لماذا لم تفرض اسرائيل على هذا الخليط من سكان بابل ، لغة عصرية كالانجليزية مثلا . وقد كان ذلك سهلا ميسورا ؟! لماذا اختارت بعث العبرية وفرضتها ..؟! لأن اسرائيل تعرف خطورة اللسان القومي وسلامة موسى أيضا ... يعرف ..

وتركيا التي يشيد بها ـ رغم غرابة مدح تركيا من متهم بالاشتراكية .. ومتى يمدحها ؟.. في سنوات ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٤ .. وتركيا عبر هذه السنوات كانت مثالا للتخلف والانهيار وفقدان الشخصية ، والتبعية ، بل كانت عدوا رئيسيا للعرب وللجمهورية العربية المتحدة بالذات ..

ولكن سلامه موسى يقول «الواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة الى المستقبل ، لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر الى مقام تركيا ، التي أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها » .

بئس والله ما اختار سلامه موسى لقومه ، أنحن نتطلع الى « مقام تركيا » ؟! وماذا أعجبه في تركيا الاحلاف والافلاس ؟ . ما العلوم التي برزت فيها تركيا منذ أن اغلقت أبواب ماضيها فليذكر لنا خلفاء سلامه موسى اسم عالم تركي ، أو مفخرة للاكاديمية التركية .. تغري بان نحذو حذوها .. فقد فات سلامه موسى أن يذكر ذلك ..

حقا ان تركيا بنبذ الحروف العربية واشياء أخرى يعرفها سلامه موسى ، قد أغلقت أبواب ماضيها .. ولكنها لم تفتح أبدا ، أبواب مستقبلها ... فلا مستقبل للغربان يحاكون مشية العصفور .. فضلا عن عصفور يقلد مشية الغربان ..

ولا يقول سلامه موسى انه لم تكن هناك حروف تركية ، لانها لغة غير مكتوبة ، بل كانت تكتب بحروف عربية ، استبدلت اللاتينية بها ، وهو ما حدث أيضا في الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي ، بعد مؤتمر « باكو » ١٩٢٦ الذي يعلق الاستاذ مدثر عبد الرحيم على قراره بالغاء الحروف العربية بانه كان « يهدف الى ربط تلك الولايات بجهاز الدولة وقطع الصلة بين رعاياهم الترك وبين تراثهم القومي والاسلامي .

فما من لغة مكتوبة قد استبدلت بحروفها الحروف اللاتينية .. وايضا استطاعت الحروف العربية أن تعبر لا عن لسانها بل عن أكثر من عشر لغات .. ومع ذلك يتهمها بالتخلف والقصور والعجز .

ثم تأمل تأثير هذه الآراء على معركة التعريب في المغرب العربي مثلا .. أي حجج تقدم لأعداء التعريب .. وأي خزي يحس به أنصار التعريب .. وهذه قاهرة الأزهر قاهرة المجمع اللغوى .. قاهرة ناصر .. تنشر مثل هذه الآراء في صيغة الحقائق العلمية .. بل تسميها « تراث كفاح هادف » ؟!

وامامي الآن في مجلة « حوار » (عدد سبتمبر / اكتوبر ١٩٦٣) مقالة لمن يدعى « وليم زارتان » استاذ امريكي يتحدث عن مشاكل التعريب في المغرب ، يكاد يردد حجج سلامه موسى بحروفها .. يقول الأمريكي في مجلة حوار : « وتركيب لغة القرآن يتجاوز معرفة غالبية السكان وادراكهم ، فهي تكتب دون أحرف صوتية ، وأحرف تبين لفظ أواخر الكلام .. لذلك لا تلفظ كما تكتب ، ولا تمكن قراءتها دون معرفة أصل الكلمة واشتقاقاتها ، وماذا كانت معربة أو غير معربة ، ومتصرفة أم جامدة

حسب ما تقتضيه قواعد اللغة ·· هناك مثل عربى يقول ان المرء فى العربية يتعلم ليقرأ ولا يقرأ ليتعلم » « والكلمات لا يمكن قراءتها بصوت مرتفع » « وأخيرا – يقول الأمريكى فى مجلة حوار الصهيونية « ان اللغة العربية كلغة حديثة قد جمدها التمسك بالماضى ، فهى تعانى منغزارة مفرداتها المهجورة ومن فقرها علميا ، وهى تعج بمفردات ومعان عن مظاهر الحياة البدوية بينما تفتقر افتقارا تاما الى أسماء حاجات الحياة الحديثة ومفاهيمها » ·

نفس الكلمات « ومن أضرار اللغة » وخاصة فى لغتنا العربية « هذه المترادفات التى تبعثر المعانى وتبعدنا عن الاحكام فى التعبير » الكلمات لسلامه موسى ··

يخيل للمرء بعد أن يقرأ سلامه موسى وزارتان·· اننا أمة عجماء ·· بل يدهش كيف أننا استطعنا أن نعيش عبر هذه القرون بمثل هذا اللسان الأخرس !!

واذكر اننى كنت فى الصومال سنة ١٩٦٠ وكانت المعركة الوطنية هناك تدور حول اختيار حروف كتابة اللغة الصومالية ، الحروف العربية أم اللاتينية ، فلم يكن لأعداء الحروف العربية فى مواجهة الجماهير ، من حجة ، الا ما كتبه سلامه موسى وشيعته فى تسفيه العربية وحروفها ··

رحم الله شهيدنا فى الصومال كمال الدين صلاح ·· وغفر لسلامه موسى ما ارتكب فى حق قومه ··

واللغة العربية عند سلامه موسى ··· هى أس البلاء ، والمسئولة عن كل الرزايا ·· « ان تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الاسباب لتأخرنا الاجتماعى » ·

أى تفسير علمى يقدمه المتهم بالاشتراكية والعلمية ، للجماهير المصرية فى ١٩٤٥ !! اذن ليس الاستعمار ولا الاقطاع ولا النظام الرجعى هم سر تخلفنا ·· بل اللغة العربية ·· ولا داعى لاجلاء المحتلين واسقاط النظام الرجعى ·· يكفينا أن نلوى لساننا بغير لغة القرآن لنتخلص من التخلف !

ويمضى سلامه موسى فى تفسيره اللغوى للتاريخ فيقول : « سيادة البريطانيين على الهنود ، أو المتمدنين على المتوحشين (!!) الى حد ما سيادة لغوية ! »

هل المحتل هو المتمدين ، والشعب المكافح من اجل حريته متوحش ؟! ·· ومن الذى قال انانجلترا فتحت الهند بالقواميس !! اذن فالتركية اعظم من اللاتينية والاغريقية لأنها أوصلت الأتراك الى أسوار فينا ·· والروسية افضل من الألمانية لأن روسيا تحتل قطعة من المانيا ·· والهندية افضل من البرتغالية ·· والعربية تتفوق على الانجليزية والفرنسية لأننا هزمناهم فى بور سعيد ··

اهذه آراء تستحق أن تنشر فضلا عن أن تناقش؟!

وجيته قال ما قاله لأنه كان يتكلم الالمانية ·· يقول سلامه موسى : « لو أن جيته ولد بين زنوج افريقيا لما استطاع أن ينتج الثمرات الزكية التى نقطفها من مؤلفاته ، لأن اللغة القبلية لم تكن عندئذ لتسعفه بالكلمات ·· التى تؤدى معانيه » وأهل الصعيد تنتشر بينهم جرائم الثار لأنهم يستخدمون كلمات الثار والعرض والدم فى حديثهم اكثر من أهل بحرى ··

وبصرف النظر عن لهجة الاحتقار للافريقيين ·· فهذا قلب للحقائق ، اذ لو أن المعانى موجودة لنحتت الفاظها ·· وليس من يقول بأننا نطلب الطعام لأننا نعرف اسمه ، أو ان الجنس ينشا عند البالغينبفعل قراءة القصص الجنسية ! ·· فالأحاسيس والمعانى توجد ثم نسميها ·· فالابن لا يولد لأننا سميناه ·· بل الأعقل أننا نسميه لأننا ولدناه ·· والا كنا كتلك الحكومات الرجعية التى كانت تصدر تعليماتبحذف كلمة حرية ودستور من التداول حتى تختفى المطالبة بهما ! ·· أو كما يتجنب العامة ذكر ألفاظ سيئة حتى لا تلحقهم شرور مسمياتها ! ··

هذا هو موقف الكتاب من اللغة العربية ، وهو كما ترى لا يستند الى أى أساس علمى ·· فضلا عن أنه حاول تخريب كفاحنا القومى عبر سنوات حاسمة ·· وهو اليوم طعنة فى ظهر الحركة القومية على الأقل ، فى المغرب العربى حيث تدور المعركة حول اللسان العربى ·· فلم يبق للمستعمرين من أمل فى المغرب العربى ·· الا أن يبقوه فى سجن اللغة الفرنسية فتنقطع به الاسباب عن أخوته فى المشرق ··

ولكن الكتاب لا يختص بطعناته لسان العرب وحده ، بل يمتد بهجومه الى الوجود العربى ذاته ، والحضارة العربية ، والمجتمع العربى ·· ولنا عودة ·

« محمد جلال كشك »

مفاهيم غير اسلامية

بقلم : الحسانى حسن عبد الله

الاسلام شعار ومنطق كلمة تقال وفلسفة تمتد بالكلمة حتى تشمل حياة الانسان فى مختلف مظاهرها . ومن أخطر ما تتعرض له افهام القراء أن تردد الكلمة دون وعى دقيق بفلسفتها وأن يرفع الشعار منطق غريب . بل ان الخطر هنا ليفوق خطر القدح فى الدين والافتراء عليه فهذا خطر جلى يسهل علاجه لأنه يسهل التنبه اليه . أما أن ينفصل الشعار عن المنطق وتوضع الكلمة عنوانا على فلسفة يحاربها الاسلام فهذا هو الخلط الذى يتطرق الى الافهام فيبث فيها الضلال . على أن مثل هذا الخطر لا يتوقع من المغرض فحسب بل يتوقع أيضا من المخلص . وفعله يقوى كلما قوى الاخلاص لأن الحماس يجذب العاطفيين من القراء ويسدل على عقولهم غشاوة يصعب طيها ، والأمثلة كثيرة على ما نقول نجتزىء منها فى هذا المقال بكتاب « **الغزو الفكرى** » للأستاذ **محمد جلال كشك** ، وهو صرخة احتجاج ضد من يسيئون الى الفكرة الاسلامية متأثرين بآراء ومذاهب من صنع الغرب هادفين الى قطع الصلة بيننا وبين تراثنا .

غرض نبيل ، لكن الكاتب يقع فيما يأخذه على الآخرين أسيرا للغزو الفكرى ، فهو يرى أن « نظام الرق كان مرحلة ضرورية لا يمكن الغاؤها الا بظهور النظام الرأسمالى وحاجته الى العمل الحر » وانه « لم يلغ الا بقيام الظروف المادية التى تكفل وتحتم الغاءه » . وواضح أن هذا الرأى يحكمه منطق المادية التاريخية ، والكاتب لا ينكر هذا بل يقر به مدلا بمعرفته على « من يدعون الايمان بتفسير مادى للتاريخ » فهو لا يسلم بالرأى تسليما جدليا حتى يخلص الى نتيجة تدحضه وانما يؤمن به كما يؤمن أصحاب المادية التاريخية الذين قسموا تاريخ الانسانية الى سبع مراحل شاع فى الرابعة والخامسة منها استخدام الرقيق ثم بدأ يتلاشى عند ظهور الرأسمالية فى المرحلتين الأخيرتين . والاسلام - على هذا - كان مقضيا عليه بحكم الضرورة التاريخية التى تفرضها قوانين المادة أن يقبل نظام الرق .

هنا يفطن الكاتب الى « فضل » الاسلام فى معالجته للضرورة التاريخية فيذكر أنه حض على العتق وعلى احسان معاملة العبد . وما كان للاسلام ان يصنع أفضل مما صنع فيلغى الرق لأن الغاءه ليس فى طوق الوحى وليس فى طوق الرسول الكريم وليس فى طوق صحابته الأفذاذ وانما هو فى طوق المادة العمياء ، فى طوق الضرورة التاريخية التى لا تعترف بأوامر الله ولا بارادة الانسان .

أهذه هى « **المفاهيم الاسلامية** » التى يراد لها ان تدفع الغزو الفكرى ؟

ان موقف الاسلام من مسألة الرق هذه هو أصح المواقف وأسماها فى تاريخ المسألة قديما وحديثا . لا نقول جديدا وانما نقول الحقيقة التى يقول بها كل العارفين بمنطق الاسلام وفلسفة القرآن وعلى رأسهم الاستاذ العقاد ، وخلاصة ما انتهى اليه فى الأمر أن الاسلام حرم الرق فى جميع صوره ولم يبح منه الا ما هو مباح الى الآن . فعل ذلك دون سابقة بل خارجا على كل ما سبقه من شرائع . فاليهودية تبيحه والمسيحية تستحسنه على لسان بولس الرسول وارسطو يرى أنه لا مناص منه وجمهورية أستاذه تقسم المجتمع الى سادة وعبيد . أما فى الحديث فلم تصل أمم الحضارة فى شرائعها للرق الى أسمى من شريعة القرآن فهى تبيح استبقاء الأسرى الى أن يتم الصلح على تبادلهم أو افتدائهم ، والقرآن يمعن فى التيسير فيشرع المن ويقدمه على الفداء « فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » .

فمن أين تأتى الشبهة التى تفتح السبيل أمام عقول مغلقة تتعامى عن حقائق التاريخ وعن أدب القرآن لتسأل : لماذا لم يلغ الاسلام الرق ؟

تأتى من عدم ورود نص قاطع فى التحريم . شبهة

لا ترد الا على عقول العبيد التى لا تفهم غير الأمر الصريح ، أو عقـول الماديين التى ران عليهـا ظلام الضرورة • أما عقل المسلم فليس فى حاجة الى نص قاطع لأن الوصية تكفيه ولا لزوم لاصدار الاوامر حيث تغنى النصائح والوصايا ، وبخاصة فى الامور التى تتجدد على الزمن بتجدد دواعيها كامر الرق أو الأسر • فليس من الحكمة أن تنص شريعة تخـاطب الانسان فى كل زمان على الغاء الاسر فتسبب للمؤمنين بها حرجا عظيما اذا اضطرتهم الظروف الى ارتضاء موقوت له • الشبهة اذن نفيها يسير ولم يكن كاتبنا مضطرا الى نفيها على ذلك الوجه الذى يجعل التاريخ عبدا للظروف المادية ، ويوقف الاســلام متهما فى محكمة العبيد • منطق الاسلام مناقض لمنطق الضرورة فليس من الاسلام فى شئ أن يقال انه اضـطر الى التسـليم بالرق لأنه مرحلة ضرورية فى تاريخ الانسانية لا تلغيها الا مرحلة أخرى تبدأ بظهـور الراسمالية حتى لو قيل انه عالجه افضل علاج •

يقول العقــاد « ان الباحثـين الاجتماعيين من الأوربيين أنفسهم قد عللوا حركة التحرير ــ تحرير الأرقاء ــ بعـلل كثـيرة من ضرورات الاقتصاد ، فذكروا أن المطالبين بتحرير الرقيق لم يفعلوا ذلك الا احتيالا على الكسب ومنعا للمنافسة التجارية التى تيسر لأصحـاب العبيد ومسخريهم فى الصناعات أرباحا لا تتيسر لمن يستاجرون الاحرار ويبذلون لهم ما يرتضونه من الاجور • ولم تزل معاملة السود فى أمريكا الشمالية ــ بعد تحريرهم من الرق ــ أسوأ معاملة يسامها بنو آدم فى هذا الزمان •

لندع الآن مسالة الرق ونطو صحائف من الكتاب لننظر فى مفهوم آخر من «المفاهيم الاسلامية» • يثور الكاتب ثورة عارمة على صـاحب قصة « الأرض » الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى لأنه يدعى التقدمية والثورية ، ويتطوع لتلقينه درسـا فى التقدمية والثورية لا يصدر عن القرآن وانما يصدر عن « رأس المال » تحت شعار المفاهيم الاسلامية • يقول الكاتب المسلم الذى لا يدعى التقدميـة والثورية « الارض تمتاز بانها من لون الادب الرجعى الايجابى ، اختارت جانبا واضحا من الصراع الطبقى الذى شكل تاريخنا خلال سنوات ٥٠ ــ ٥٤ ولا شـك أن لهذه الفترة خصـائص اجتماعية وملامح طبقية يجب أن تتحدد لنتعرف على وجهها الحقيقى وحتى نستطيع أن نضع العمل الفنى فى مكانه تمامـا على خريطة الصراع الطبقى ، والثورى فى رأى الكاتب ، هو من يدعو الفلاحين الى المطالبـة بالارض ، من يجمع الفلاحين ويثيرهم للمطالبة بالأرض ، لا الأرض التى فى أيديهم فالفلاحون ــ كما يراهم الثورى ــ لا يملكون ارضاً فى ظل الاقطاع » •

« أدب رجعى » ، صراع طبقى يشكل التاريخ » •

« اثارة الفلاحين » •

مصطلحات معروفة فى قاموس من يسمون أنفسهم بالتقدميين ؛ وخطيئة عبد الرحمن الشرقاوى انه لم يع القـاموس جيدا ، أو لم يتمعن فى طلاسمه كما يفعل الراسخون فى التقدمية ، فجاءت قصته أدبا رجعيا يدافع عن حق الملكية « المقدس » أو « غير المقدس» كما يريد الكاتب أن يقول • هذه المصطلحات لا يعرفها أدب القرآن وانما يعرفها القائلون بالمادية التاريخية • يعرفها أدب كل همه ان يثير الاحقـاد ليعجل بالثورة التى تجعل الناس طبقة واحدة الى الأبد • الاسلام لا يعرف الصراع الطبقى لأنه كفل لكل الانسان حقه عاملا وعاجزا عن العمل • وطريقته فى عـلاج الفقر تتوخى التقريب بين الطبقـات لا اشعال الحرب بينهـا بغية سيادة طبقة تنفرد بحق الحياة على سائر الطبقات •• اما الذى يضمن تحقيق سياسة الاسلام فى علاج مشكلات المجتمع فهو « دستور » مستوحى من القرآن • فالنظام الاسلامى نظام دستورى فاذا تعطل الدسـتور أو الغى وجب العمل على اقامته وانفاذه • ولكن كاتبنـا له راى مخالف فالدستور آفة الآفات وهو لا بد ان يكون على صلة وثيقة بالاستغلال « الثورة تكتمل عندما يتم الربط فى وعى الفلاحين بين النظام الدسـتورى والاستغلال الاقطاعى بل تبدأ الثورة باسقاط النظام الدستورى ، لذا فلا بد من أن يصوب الثوار نيران مدافعهم على النظام الدستورى فى أكمل صوره » فالموجدة فى نفس كاتبنا ليست على صورة للدستور ناقصة بل على أكمل صوره • هذه الثورة الطائشة ليست من الاسلام فى شئ فالاسلام بغير دسـتور لا يقوم • يقول العقاد «ليست الديمقراطية الانسانية مما يتصور بغير عناصرها الثلاثة التى لا انفصـال بينها • وهى المساواة والمسئولية الفردية وقيـام الحكم على الشورى وعلى دسـتور معلوم من الحدود والتبعات وهذه هى العناصر الثلاثة التى نادى بها لاسلام لأول مرة فى تاريخ الانسان» • وتبلغ الثورة الطائشة ذروتها عندما ترفض « الاصلاح » وسيلة لتغيير الواقع الفاسـد ولا ترضى بغير الانقلاب • يحتج الاستاذ جلال على مهاجمة الشرقاوى لحكومة

« صدقى » عندما عطلت دستور ١٩٢٣ لانه لا يرى جدوى من المهاجمة · يقول « اما الذى يهاجم حكومة السعديين والدستوريين أو « ان كان يسمى الأقليات فهو على أحسن الفروض «اصلاحى» يتطلع الى شكل افضل من أشكال الحكم الرجعى » ·

يعنى أن طلب الاصلاح مرفوض · والدستور فى أكمل صوره مرفوض · فما المقبول اذن ؟

اثارة الفلاحين والهاب الصراع الطبقى ؟ ليس هكذا الاسلام فالاصلاح دعامة من أهم دعائمه · يشرح العقاد هذه الدعامة فيقول « الحاكمون والمحكومون جميعا متعاونون فى أمانة الحكم وأمانة الاصلاح : كل بما يستطيع وكل بما يصلح له وما يصلح عليه ، ولا حق فى الطغيان لفرد جبار ولا لجماعة كثيرة العدد · بل الحق كله للجماعة كلها ، بين التشاور والتعاون ، والتنبيه والارشاد والاسترشاد · وما من جماعة بشرية تتم فيها أمانة الشورى وأمانة الاصلاح وأمانة التعاون ثم يعروها انحلال أو يخشى عليها من فساد · »

ومن أهم سمات الأدب أن يقف على أرض الواقع متاملا ثم يحلق بعيدا عنها · هذه حقيقة ابتدائية فى النقد الادبى · وكاتبنا ـ اذ يسلب العمل الأدبى دلالته الايحائية واستقلاله عن الواقع العيانى ـ انما يخرج على تلك الحقيقة التى يجمع عليها النقاد · ولكن قد تكون غايته نقدا سياسيا لا أدبيا · لا بأس على أن يتنازل عن مبدئه ذلك الذى يقوم الأدب على أنه وثيقة سياسية · ومهما تكن مقاييسه ومبادئه فهى غريبة على روح الاسلام ·

أى مخالفة للمفاهيم الاسلامية فى قول الشرقاوى « الناس يدركون أن الحرية هى التى توفر الطعام وأن الدستور هو الذى يضمن الحقوق وأن اختيارهم الحر لمن يحكمون هو الذى يضمن شروطا انسانية للحياة » هذا الكلام أفضل مثل على الرجعية فى رأى الكاتب ·

اللهم عفوك !

هل جاء الاسلام واندلع نوره على العالمين ليملأ البطون · وهل كانت رسالة المسلم وهو يجوع ويعرى ويقتل فى سبيل الله أن تمتلىء البطون · وهل تنتهى رسالة الاسلام عند ملء البطون · كلا رسالة الاسلام أسمى من هذه الغاية بكثير · والذى يرفض الحرية بدعوى أولوية مشكلة البطون لا حق له فى التحدث باسم الاسلام ·

الطعام أولا · هذا مبدأ من مبادىء النقد السياسى للقصة · أما المبدأ الآخر فهو رجعية دستور ١٩٢٣ الذى كان ثمرة ثورة ١٩١٩ والذى « صدر بناء على اقتراح لجنة ملنر لتشكيل حكومة منتخبة توقع معاهدة مع بريطانيا تعترف بشرعية استقلالها لمصر · وقد رفض الوفد عندما كان ثوريا ـ ويجب أن نفهم أن ثورية الوفد لم تتخط أبدا حدود الاستقلال الوطنى ـ رفض الوفد الدستور وقاوم اللجنة التى شكلتها السراى والانجليز ، وسماها سعد باشا لجنة الاشقياء ، وقاطعتها كل الجمعيات والأحزاب والهيئات الوطنية ؛ ولكنها وضعت الدستور الذى وصفه سعد نفسه بأنه على كثير من المبادىء الرجعية»

وهذا كذب على التاريخ صراح ، لأن لجنة ملنر لم تضع الدستور وانما وضعت مقترحات رفضها شعبنا لأنها كانت خادعة مخيبة لرجاء الثوار · قدمت اللجنة الى مصر بعد نفى سعد وأصدرت بيانا تحاول فيه تهدئة الخواطر الثائرة قوبل بالنقد والاعراض · ثم أعيد سعد من منفاه وعقدت مفاوضات انتهت برفض مقترحات اللجنة ونفى الزعيم مرة أخرى · هنا ينتهى دور اللجنة ويصدر الانجليز تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، ثم نزلوا على ارادة الأمة فكان دستور ١٩٢٣ ، وقد حاول الانجليز والملك فؤاد تعديل الدستور وان يحذفوا منه مادة « **الأمة مصدر السلطات** » فباءت محاولتهم بالاخفاق

هذا الدستور هو الذى الغاه صدقى ولولا قيمته الوطنية ما الغاه ·

وهذا الدستور هو الذى قال فيه **العقاد** ـ فيلسوف الاسلام فى عصرنا ـ كلمته الشهيرة فى البرلمان « **ان الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس يخون الدستور أو يعتدى عليه** » ·

لقد كان العقاد يعلم أنه دستور ناقص ومع ذلك سجن من أجل الدفاع عنه ، لأن الضمير الحى يعرف واجبه تجاه النقص ولا يقر حتى ينهض به · أما الضمير الذى أماتته المادة فهو يلقى التبعة على الظروف ولا يتحرك للعمل الا اذا الهبته سياط الضرورة · ضمير لا تعذبه رؤية الشر يتفاقم لأن محاولة الاصلاح عبث ·

مرة أخرى ، أهذه هى المفاهيم الاسلامية التى يراد لها أن تقف فى وجه الغزو الفكرى ؟

ولكن ، ربما قيل ان الكاتب يريد أن يحاكم التقدميين بمنطقهم · فليفعل على الا يخلط بين منطقهم ومنطق الاسلام ؛ فالاسلام شعار ومنطق · كلمة تقال وفلسفة تمتد بالكلمة الى كل مجال ·

« **الحسانى حسن عبد الله** »

الأدب البنجابي ...

بقلم محيي الدين الألوائي

اللغة البنجابية

هي لغة حوالى عشرين مليون نسمة من الهندوس والمسلمين والسيخ في الهند والباكستان ، وقد ورثت اللغة البنجابية ، بصفة كونها لغة مشتركة لثلاث طوائف رئيسية مذكورة ، ثلاثة أنواع من الحروف لكتابتها، العربية و « ديوناجرى » و « جرومكهى » فبينما يكتبها المسلمون بالحروف العربية ، يكتبها الهندوس فى حروف اللغة الهندية « ديوناجرى » ، وأما طائفة السيخ فتستخدم حروف جرومكهى لكتابتها ، مع أن كلا منهم يعرف الحروف التى يستخدمها الآخرون .

وبناء على هذه الميزة التى تمتاز بها البنجابية قد تغذت بالآداب التى تمخضت فى اللغات الهندية الأخرى من الأردية والفارسية والسنسكرتية ، وترعرعت هذه اللغة ونمت أكثر فأكثر بفضل عدد من اللهجات ، ولأجل ذلك تجلت فيها المظاهر الشعبية لمختلف طبقات الشعب وعقلياتها .

تاريخ نشأتها

وليس من السهل الهين تحديد تاريخ نشأة لغة ما ، سيما للغة تتركب من عدة مصادر . وترجع جذورها الى سلالات مختلفة كما هو الحال فى اللغة البنجابية . واذا تتبعنا آراء العلماء اللغويين الهنود فنجد بعضهم يرجع تاريخ نشأتها الى القرن الثانى عشر ، والبعض الآخر الى عهود تسبقه ، بناء على عدم دليل واضح ، ووثائق تاريخية قاطعة حول ذلك ، فالاصوب والاقرب الى الطمأنينة أن نبدأ بالكتاب المعروفين الذين يتشكل الادب البنجابى من أعمالهم الادبية والعلمية ، ولهم نفوذ واسع فى الادباء المعاصرين . **وينقسم مشاهير أدباء البنجابية الى فئتين رئيسيتين ، أى الصوفيين المسلمين ، ونساك السيخ ، ونبدأ بهم من القرن الخامس عشر للميلاد ، وازدهر هذان المنبعان الفياضان واصبحا بمثابة مصدر أصل لهذه اللغة وآدابها .**

أثر الصوفية

وتوافدت الفكرة الصوفية وأصحابها الى الهند بعد انتشار الاسلام ودعاته فى القارة شمالا وجنوبا بطريقة سلمية ودية ، وكان معظمهم من الدعاة الى الحق والاخوة الانسانية ، وكان عليهم أولا وقبل كل شىء أن يتعلموا لغات الشعب وآدابهم ، ويقفوا على طرق حياتهم . وكلما تبحروا فى لغات الشعب وعاداتهم وتقاليدهم تضمحل حميتهم الدينية والتعصب الطائفى حتى تبدو فيهم رغبة تطوعية فى قبول معتقدات وطقوس الديانات التى لايدينون بها ويتسرب الى قلوبهم التسامح الكلى نحو الجميع ، وتجلت آثار نفوذهم على الافكار الدينية بطريقة واضحة فى تلك المنطقة أكثر من أى مكان آخر فى بنجاب وما جاورها . ودرس نساك السيخ سيما المرشد المؤسس لطائفة السيخ « جرونانك » التعاليم الصوفية باهتمام بالغ حتى أصبح زعيم « الحركة

الروحية » المعروفة بـ « بهكتي » وفي وجهة نظر الصوفيين فان حقيقة العلاقة بين الانسان وخالقه بمثابة العلاقة بين حبيب ومحبوبه الذى افترق منه بطريقة خيالية ظاهرية جسمانية مع أنهما لم يفترقا حقيقيا روحيا · ولا يمكن أن نتغلب على هذا الافتراق الظاهرى الا بالمحبة والشعور الاخوى · وهذه كانت النظرية المتعمقة فى تعاليم الصوفيين المسلمين ، ونساك السيخ ·

اللغة العامية

وكان الصوفيون ، كلهم أو جلهم ، يعيشون فى الاقاليم ، فبقى لسانهم واصطلاحاتهم بلدية ساذجة حتى يستطيع عامة الناس أن يلتقطوها بدون صعوبة وأتت خطبهم وأشعارهم مليئة بالنشاط اليومى للفلاحين من الحراثة والحصاد والغزل وتربية المواشى وحلب الابقار وطرق حياتهم العائلية المشتركة والمنفردة ووداد الاخوان لاخوانهم وسائر أفراد عائلاتهم بقلب صاف نقى ساذج ، وحب الزوجات لازواجهن ومشاركتهن فى الاعمال اليومية لهم فى الحقول ، وضغائن الضرات فى بعض البيوت ، واسباب الشقاء التافهة فى الحياة الريفية ، وما الى ذلك — وهذه الطبيعة قد منحت مصادر غنية لاختيار التشبيهات والامثلة اللازمة فى كتاباتهم وقصائدهم بحيث يساعد بكل سهولة للتأثير على أسماع الطبقات المتوسطة والسفلى من الشعب · وقد استفاد معلمو السيخ الكبار سيما « جرونانك » كثيرا من هذه العادات المألوفة لدى الفلاحين وتشبيهاتهم المحببة لتبليغ دعوة ونشر تعاليمه · وعلى هذه الشاكلة قد ابتدأت اللغة البنجابية العامية أن تحتل مكانة مرموقة فى الادب البنجابى ·

الشعر الثورى

الميدان الآخر الذى قدم فيه الصوفيون خدمات عظيمة فى الادب البنجابى نشر أوزان شعرية ذات طابع خاص · وفى مقدمتها « كافى » و « بارا — ماه » و « شيرانى » ، وأما « كافى » فكان معروفا لدى الشعراء الفرس · وما زال معروفا فى الشعر الاردوى · وأن « بارا — ماه » «أو اثنى عشر شهرا» يعطى للشعراء حرية تامة لوصف جمال الفصول الاربعة للعام ولمتابعة أى شىء آخر يريد أن يتكلم عنه · وأن عددا من الوصف أو التشبيه الشهير لجمال الطبيعة فى الشعر البنجابى لمدين لوزن « بارا — ماه » · وأما « هير — رانجها » لـ « وارث شاه » و « آدى جرانت » لجرونانك ، فمن أجمل القصائد الادبية فى اللغة البنجابية فى وزن « بارا — ماه » ·

عصر جرونانك

وكان « جرونانك » (١٥٣٩ — ١٤٦٩) يبشر بدعوته ويدعو الناس الى مبادئه فى الاشعار · وقد امتازت قصائده بشرح فلسفة حياته ، وموعظة الناس لاتباع طريقة خاصة فى حياتهم اليومية ، واتسعت دائرة الادب الشعرى فى البنجابية منذ عهد « جرونانك » ، لانه نشر فيه فكرة حرية التفكير وابداء الرأى بعد أن كان فى حدود ضيقة ،واستلهم الاخيلية الفياضة ، وتشحذت أفكاره الخصبة من المناظر الطبيعية لبنجاب من الحقول اليانعة، وانبثاق الفجر عبر الانهار الجارية واستيقاظ الطيور المغردة وسير الغزلان وسط الاشجار الباسقة والسحب الكثيفة فى أيام المطر وموسيقى هبوط الامطار وما الى ذلك · واستغل « جرونانك » هذه الفرصة السانحة لنشر تعاليمه الدينية بواسطة الاشعار الخصبة الغنية بالاخيلة الناضجة ، وجعل مدار قصائده وخطبه تقوية الروح المعنوية فى الناس · واحسن واجود أعماله الأدبية « جاب صاحب » أى أدعية الصباح ·

النفوذ الغربى فى الأدب البنجابى

ان النصف الاول للقرن الذى تلا الاحتلال البريطانى فى الهند لم يكن يزدهر فيه الادب الهندى بطريقة ملحوظة · واحتاج الى عدة سنين لاسترجاع طبيعته الاصلية من أثر التطورات السياسية والنفوذ

الغربي . وكان الحكام الانجليز الاول يعتقدون بأن الثقافة الشرقية لاقيمة لها والأحسن للهنود أن يقتفوا الاوروبيين . وان جيلا واحدا من الشعب الهندي قد وافق على هذه النظرية ، وطنها حقا واشربوا من العقليات الانجليزية ، حتى كادوا ينسون التقاليد الهندية وثقافتهم التي ورثوها جيلا بعد جيل ، وابتعدوا عن التعاليم الشرقية العريقة . وان الجيل الذي تلاه قد تنبهوا الى هذه السقطة التي وقع فيها أسلافهم وتسابقوا في ازالة الغبار عن الذخائر القيمة للهند القديمة ، وانتشر بصيص من المساعي المشكورة في شتى أنحاء الهند في هذا المضمار .



نموذج من الفن البنجابي

كما كانت بنجاب آخر بقعة تأثرت بالعوامل الغربية كان آخر الولايات الهندية في ميدان التخلص من آثارها وتعقداتها وعلى هذا يقال : فان الاصلاح الحديث في الادب البنجابي قد أتى متأخرا الى بقية أنحاء الهند ، وأن الادب البنجابي الحديث في بدايته كان يتناول كثيرا التطورات الاجتماعية والسياسية التي أحدثتها حركة « سنغ سبها » ، وكانت المنتجات الادبية تعتني أولا وقبل كل شيء بالقضايا التي واجهها دعاة الحركات المختلفة التي جرت في ذلك العصر ، ونشأ في ذلك العصر كتاب مهرة كانوا يعالجون القضايا السياسية والاجتماعية الوقتية نظرا لصالح الادب وحده .

الشعر البنجابي

ولا يزال الشعر ــ حتى في جيلنا الحاضر ــ جزءا هاما من البيان الادبي . ويزداد عدد الشعراء الجدد يوما فيوما في الادب البنجابي . وتخصص الصحف والمجلات البنجابية جزءا كبيرا منها للشعر والشعراء واما ندوة الشعر البنجابي المعروفة « بنجابي كوى دربار » فتجذب أكبر عدد من الحاضرين في الاجتماعات الدينية والسياسية .

ومعظم هذه الاشعار الحديثة يعالج مسائل مختلفة حالية في أساليب شتى حيث لاتتجاوز حد الاعتدال ونشأ شاعران خرجا عن حد الاعتدال وحالة الوسط في تناول المواضيع التي يواجهها الشعب ــ وهما « موهن سنغ » و « أمريتا بريتام » وكان « موهن سنغ » رئيس تحرير المجلة الشهرية « بانج دريا » اي الانهر الخمسة . ونزل الى ميدان الشعر ببداية طيبة ميمونة اذ نشر قصائده الشهيرة «ساويا باتر» و « كسوميرا » و «ادهواتاي» وعد في مقدمة الشعراء الملهمين الجدد .

وبفضل الاشعار التقدمية لـ « موهن سنغ » اندلعت الشعلة الأولى للاشتراكية تمنح تشجيعا للذين كانوا يعانون الظلم الاجتماعي . وتحريضا على مزيد من النشاط الثوري ، وكما أنه كان يصب جمالا فائقا في شعره ونثره ، وعد من طليعة الشعراء التقدميين في البنجابية .



قطعة فنية بنجابية

واما الكاتبة الشهيرة « أمريتا بريتام » فهي الآن منبع المؤلفات الادبية الشائعة في كل من البنجابين الباكستانية والهندية . وان لم تكن كاتبة تقدمية أو ذات دعوة خاصة . ولكن أشعارها تمتاز بسذاجة الالفاظ وبساطة المعاني ونضارة التشبيهات حيث تحبب الى القلوب بدون صعوبة ولا تعقيد .

وهذه صـــفات جليلة ربما تغطى النقائص التى تحيط بالمعانى أو الافكار التى تدور حولها اشعارها وتتجلى فى كتاباتها بصفة عامة الشعبية والفطــرة مع اختيار المصطلحات الرائجة والجارية على السنة عامة الشعب وخاصتهم • وهذا هو السر الاكبر الذى يختفى وراء نجاحها وتفوقها على كثير من اقرانها •

الأدب النثرى البنجابى

ان الشخصية البارزة فى مضــمار كتابة الادب النثرى فيها : « جور بخشن سنغ » وبدأ نشــاط حياته كمهندس ثم تــوجه الى الولايات المتحــدة الامريكية لمواصلة الدراسات العليا فيها • وبعـد عودته منها لم يستمر فى عمله كمهندس ، بل كرس حياته للتجديد فى الآراء والأمور الدينية • وشرع فى مهمته ونشر آرائه بطريق مجلة شهرية «بريت لارى» وانشأ مركزا للاعمار الريفى باسم : « بريت نجر »

ويقع الآن فى حدود الهند والباكستان ، واصبح « بريت نجر » مركزا لانواع من النشــــاط الادبى والعلمى • وان كتاب الرســـائل الذى وضــعه « جروتخسن سنغ » باسم : « ســـافوين بادهرى زندجى » جعله أحسن كتاب الرســائل فى النثر البنجابى • وكما أنه صار بمثابة الهام لعدة كتاب جدد متشبعين بالمبــادىء الاشتراكية ومنهم نجله « توتيج سنغ » وزار كل من الاب والابن الصــين والاتحاد السوفيتى وكثيرا من البلدان الاوروبيــة لحضور « مؤتمرات الامن » ومما لاشك فيه أن معظم مؤلفاتهما ورسائلهما ملىء بتجارب العــالم الخارجى وتنعكس فيه المتجهات الحديثة فى الآداب الاجنبية•

الروايات

وفى ميدان الروايات قد بلغ الادب البنجابى الى ارقى الدرجات ولاتزال الروايات العديدة حــول أفكار مختلفة تصدر يوما فيوما • ولكن يقال بصفة خاصة ان معظمها خالية من العناصر الجوهرية لرواية مثالية كاملة • وكان « وبرسنغ » ــ مع كونه شاعرا بطبيعته ــ يحــاول لوضع الروايات ، وتنقصهـا أيضا المواد الجوهرية للرواية المثالية ، وقام عدد من الـكتاب الشــبان مثل « دجال » بكتابة القصص القصيرة أو سلسلة من القصص القصيرة باستخدام نفس الشخصيات فى كل منها حتى تصل الى درجة الروايات ، واشهر شخص فى هذا الميدان « نانك سنغ » ــ مع كونه شاعرا بطبيعته ــ فقد كتب أكثر من ستين رواية الى الآن ، وهو كاتب قدير واســع الاطلاع فى شتى العلوم والفنون •

القصص القصيرة

وأما كتابة القصص القصيرة فهو الميدان الهــام الذى حاز فيه الكتاب البنجابيون نجاحا مرموقا ، وان مستوى القصص القصــيرة التى تطلع عــلى صفحات المجلات البنجابية لعال جدا ، ويمكن أن يقال بان الفضل الاكبر لهذا التقدم الذى نراه ـ عموما ـ فى القصص القصيرة البنجابية الى رائدها « ســانت سنغ سكهون » الذى اقتفى أســاليب القصص القصيرة الاوربية والامريكية فى كتابته ، وتجنب طريقة الحكاية المستقيمة الصريحة • واتبع الطريقة الحاذقة البارعة ، وقد أعطى هذا التحول للقصص القصيرة الحديثة جاذبية وقبولا حسنا ، وشــوق القراء لدى القارئين من النواحى النفسية والفكرية واتبع القصصى الشهير « كرتار سنغ دجال » منهج « سكهون » فى قصصه • وان براعة « كرتار سنغ » فى اطلاعه الواسع على اللهجات المختلفــة للغــة البنجابية ســيما فى مديرية « راولبندى » **وكان يستخدمها فى طريقة ذات أثر بالغ ونشر اكثر من مائة قصة قصيرة واشهرها « سورسار » و « نوان جهار » وكذلك كتب عدة روايات تعالج فيها المشاكل والمتاعب التى تبعت تقسيم القارة الهندية ولــكنها ــ كما اوضــحنا من قبــل ــ لم تصل الى درجة الروايات الممتازة ، وهى بمثابة القصص القصيرة المتجمعة •**

« محيى الدين الألوائى »

آنيوتا

قصة قصيرة بقلم : أنطون تشيكوف
ترجمة : بهاء طاهر

في ارخص غـرفة ببناية كبيرة للشقق المفروشة كان كلوتشكوف الطالب بالسنة الثالثة بكلية الطب يسير في حماس جيئة وذهابا وهـو يراجع علم التشريح .. كانت شفتاه جافتين وجبهته قد تندت بالعرق ..

وكانت آنيوتا ، الفتاة التى تعيش معه تجلس بقرب النافذة المغطاة بالصقيع . وآنيوتا سمراء صغيرة نحيفة ، في الخامسة والعشرين من عمرها ـ شديدة الشحوب وعيناها رماديتان وديعتان . جلست محنية الظهر وانهمكت في حياكة ياقة قميص بخيط احمر كانت تعمل ضد الزمن .. فقد دقت ساعة الممر دقتين ناعستين ومع ذلك فان الغرفة الصغيرة لم ترتب بعدلاستقبال النهار الجديد كانت ملاءات السرير غير مرتبة ... وهناك وسائد وملابس وكتب مبعثرة هنا وهناك .. ووعاء نظافة كبير ممتلىء بماء الغسيل وتطفو فوقه اعقاب السجاير .. وقذارة على الارض. كل هذه الاشياء كانت تشيع روحا من الفوضى في المكان بأسره .

واخذ كلوتشكوف يكرر : «الرئة اليمنى تتكون من ثلاثة اجزاء : الجزء العلوى فوق الحاجز الداخلى للصدر ويصل الى الضلع الرابع أو الخامس » ...

ورفع كلوتشكوف عينيه للسقف محاولا أن يتصور ماقرأه منذ لحظة ، وعندما يعجز عن تكوين صورة واضحة يبدأ في تحسس أضلاعه العليا تحت صدارة ثم يقول :

ـ ان هذه الأضلاع شبيهة بمفاتيح البيانو، يجب أن يعتاد المرء عليها والا اختلط عليه الأمر .. يجب أن تدرس على الهيكل العظمى وعلى الجسم الحى سواء بسواء .. اسمعى ياآنيوتا ، دعينى أتحسس أضلاعك .

ووضعت آنيوتا جانبا ماكانت تحيكه ، ونزعت عنها (بلوزتها) وانتصبت امامه فجلس كلوتشكوف قبالتها عابسا وبدأ يعد ضلوعها :

ـ لايستطيع المرء ان يتحسس الضلع الاول فهو وراء لوح الكتف ، أما هذا .. هذا لابد أن يكون هو الضلع الثانى .. نعم ، وهذا هو الثالث .. وهذا هو الرابع .. نعم .. نعم .. لماذا ترتجفين ؟ .

ـ ان أصابعك باردة !

ـ هيا .. هيا .. لن تموتى لهذا السبب، لاتنحنى هكذا ! لابد ان يكون هذا هو الضلع الثالث .. وهذا الرابع . انت تبدين هزيلة للغاية ومع ذلك لايستطيع المرء ان يتحسس أضلاعك . هذا هو الثانى ، وهذا هو الثالث. أوه ، انه شىء مربك ! لايمكن تتبعه بوضوح . لابد وان أرسم . اين قلمى ؟

واخذ كلوتشكوف قلمه ثم راح يرسم على صدر آنيوتا عدة خطوط متوازية مشدة مع الأضلاع .



ـ رائع ! .. هذا افضل ، والآن استطيع ان ادرسك ، ثقي ،

ووقفت آنيوتا ، ثم رفعت ذقنها وبدأ كلوتشكوف يدرسها ، كان منهمكا للغاية في تلك المهمة لدرجة انه لم يلاحظ ان شفتي آنيوتا واصابعها قد اصبحت زرقاء من شدة البرد ، وارتجفت آنيوتا ، ثم خشيت ان يلاحظ الطالب ذلك فيكف عن رسمها ودراستها ويرسب في امتحانه ! وقال كلوتشكوف بعد ان انتهى :

ـ الآن وضح كل شيء .. فلتجلسي كما انت دون ان تمسحي الخطوط ، واثناء ذلك سوف استذكر لفترة اخرى .

وبدأ الطالب سيره جيئة وذهابا وهو يستذكر ، بينما جلست آنيوتا منكمشة وهي ترتجف وراحت تفكر والخطوط السوداء على صدرها كالوشم .

كانت آنيوتا مقلة في الكلام عادة ، تظل صامتة دائما بينما تفكر .. وتفكر ..

لقد عرفت في السنوات الست أو السبع التي قضتها متنقلة مابين غرفة مفروشة الى اخرى خمسة من الطلبة مثل كلوتشكوف ، وقد أنهوا دراساتهم جميعا وانطلقوا في الحياة وبطبيعة الحال فانهم كاناس محترمين قد نسوا آنيوتا منذ زمن طويل . كان احدهم مقيما في باريس ، واثنان منهم اطباء ، والرابع فنانا ، بينما يقال عن الخامس انه قد اصبح بالفعل استاذا جامعيا .

وكان كلوتشكوف هو السادس ، وعما قريب سينهي دراسته هو الآخر ثم ينطلق في الحياة ، وهناك مستقبل لامع ينتظره ، وربما اصبح رجلا عظيما في المستقبل ، اما الحاضر فهو الشيء الوحيد الذي لم يكن لامعا ، فلم يكن عند كلوتشكوف تبغ ولاشاي ، ولم تبق عنده الا اربعة قوالب من السكر ، وعليها الآن أن تسرع بانهاء القميص الذي تحيكه وتوصله الى السيدة التي كلفتها بحياكته ثم تشتري بالربع روبل الذي ستعطيه لها شايا وتبغا .

وصاح شخص بالباب : أاستطيع ان ادخل ؟.

فألقت آنيوتا بسرعة **شالا صوفيا** على كتفيها بينما دخل فتزوف الفنان وبدأ يخاطب كلوتشكوف وهو يحملق كحيوان مفترس :

ـ اتيت لأطلب منك معروفا .. لتصنع لي معروفا .. اعرني فتاتك ساعتين فحسب انني ارسم صورة ولا استطيع ان اعمل دون نموذج .

فقال كلوتشكوف موافقا :

ـ أوه ، بكل سرور ، هيا يا آنيوتا .

فتمتمت آنيوتا برقة .

ـ والاشياء التي علي ان انهيها هنا ؟

ـ هراء !! ان الرجل يطلبك من اجل الفن وليس لأي غرض تافه ، فلم لا تساعدينه مادام هذا بامكانك ؟

فبدأت آنيوتا ترتدي ملابسها ،

وسأل كلوتشكوف :

ـ وماذا ترسم ؟

ـ سايكي .. (صورة تمثل الروح) انه موضوع جميل ولكنه لا يريد ان ينتهي لسبب ما ، وعلي ان ارسم من نماذج مختلفة، بالأمس كنت أرسم واحدة بسيقان زرقاء فسألتها و ما السبب في أن سيقانك مزرقة ؟ ، فاجابتني « ان جواربي تلونها ». وانت تحتمل أن تسمع هذا !!!.. انك لمحظوظ ، عندك صبر .

ـ الطب مهنة لايستطيع المرء أن يتابعها دون أن تكون عنده قدرة على الاحتمال .

ـ آه لتغفرلي ياكلوتشكوف ، ولكنك تعيش كخنزير ! ان طريقتك في الحياة مؤلمة.

ـ ماذا تعني ؟ .. انا لااستطيع ان اعيش خيرا من هذا ، فابي لايرسل لي سوى ١٢ روبلا كل شهر ، ومن الصعب أن يعيش الانسان حياة طيبة بمثل هذا المبلغ .

فأجاب الفنان في عبوس وهو يبدو متقززا:

ـ نعم ، نعم .. ولكن كان بوسعك أن **تعيش كخنزير ! ان طريقتك في الحياة مؤلمة .** المتعلم ملزم بأن يكون على درجة من الذوق ، أليس كذلك ؟ ولكن الأمور هنا .. بالله ! السرير غير مرتب .. والنفاية .. والقاذورات .. وحساء الامس في الاطباق .. اففو ! فأجاب الطالب بارتباك :

ـ هذا حق ، لكن آنيوتا لم يكن لديها وقت اليوم لتنظف الغرفة .

كانت مشغولة طول الوقت .

وعندما خرجت آنيوتا مع الفنان استلقى كلوتشكوف على الأريكة وبدأ يراجع دروسه وهو مستلق ثم باغته النعاس ، وعندما استيقظ بعد ساعة وضع رأسه بين كفيه واستغرق في أفكار قاتمة . لقد استعاد كلمات الفنان عندما قال ان الرجل المتعلم ملزم بأن يكون لديه ذوق ، وصدمه جو الغرفة فملا لرآه قذرا وباعثا على الاشمئزاز . ورأى بعين الخيال مستقبله الخاص عندما يستقبل مرضاه في حجرة الكشف ، وعندما يشرب الشاي في غرفة الطعام مع زوجته التي ستكون «سيدة» بمعنى الكلمة !.. أما الآن فقد بدا له وعاء النفاية الذي تسبح فيه أعقاب السجاير شيئا مثيرا لأقصى درجات التقزز ، وبرزت آنيوتا في ذهنه أيضا كصورة منفرة وقرر ان يفترق عنها في الحال بأي ثمن .

وعندما عادت آنيوتا من عند الفنان وخلعت معطفها قام كلوتشكوف واخذ يكلمها وعليه سيماء الجد !

ـ انظري هنا يافتاتي الطيبة . اجلسي واستمعي ، يجب أن نفترق ، الحقيقة هي انني لااريد أن أعيش معك أكثر من ذلك .

وكانت آنيوتا قد وصلت من عند الفنان مضناة ومرهقة ، كان وقوفها الطويل كنموذج قد جعل وجهها يبدو نحيلا وخديها غائرين أكثر من ذي قبل ، ولم تقل أي شيء لترد على كلمات الطالب ، فقط بدأت شفتاها ترتجفان .

وقال كلوتشكوف : انت تعلمين على اية حال اننا يجب أن نفترق عاجلا او آجلا .. وانت فتاة طيبة وعاقلة ، لست بلهاء : وسوف تفهمين .

ارتدت آنيوتا معطفها ثانية في سكون ، ووضعت تطريزها في لفافة من الورق ، ثم جمعت ابرها وخيوطها ووجدت الورقة التي بها قطع السكر على النافذة فوضعتها على المائدة بجوار الكتب ، وقالت بهدوء :

ـ هذا .. هو .. السكر ..

ثم استدارت لتخفي دموعها ،

ـ لماذا تبكين ؟

بدأ كلوتشكوف يسير في الغرفة مضطربا ثم قال :

ـ انت فتاة غريبة حقا ، عجبا ! .. انت تعلمين أننا سنفترق .. اننا لانستطيع أن نعيش سويا الى الأبد .

وكانت قد جمعت كل حاجياتها واستدارت لتقول له وداعا ، فشعر نحوها بالرثاء واخذ يفكر : «هل ادعها تبقى هنا اسبوعا آخر ؟. ان بوسعها أن تبقى بالفعل وسأخبرها ان ترحل بعد أسبوع » وشعر بضيق لضعفه فصاح بها في خشونة :

ـ اسمعي ، لماذا تقفين هناك) .. ان كنت ذاهبة فاذهبي ، وان كنت لاتريدين فاخلعي معطفك وابقي ! يمكنك ان تبقي !

وخلعت آنيوتا معطفها في سكون ، خلسة، ثم مسحت انفها خلسة أيضا ، وتنهدت ورجعت الى مكانها التقليدي على المقعد بجوار النافذة دون أن تحدث أي صوت .

وسحب الطالب كتابه ثانية ثم بدأ يذرع الغرفة من ركن الى ركن وهو يردد : « الرئة اليمنى تتكون من ثلاثة أجزاء : الجزء العلوي على الحاجز الداخلي للصدر ويصل الى الضلع الرابع أو الخامس ..

وصاح واحد من الممر بأعلى صوته :

ـ جريجوري ! الشاي !

الجنة العذراء

تأليف: محمد عبد الحليم عبد الله



بقلم: ابراهيم عيسوى شعفان

في اسلوب شاعر وقدرة قصاص ساق **محمد عبد الحليم عبد الله** قصته الجنة العذراء، محكمة البناء متتابعة الاحداث بشكل يربط القارىء بها عندما تقع عيناه على الاسطر الأولى، ويحس أن يد الكاتب تقوده بهدوء وحذر وتنتقل به من الريف حينا الى القاهرة حينا آخر بمهارة دون ملل يحسه القارىء اثناء تجواله فى شعاب القصة واروقتها .

وفى هذه القصة ...

يصحو اهل القرية على صراخ يهتك ستر صمت منتصف الليل المخيم على القرية ويشدهم الصراخ الى بيت بهية .. ويرون رجلا فى هذه الساعة من الليل وامراة تقيم بمفردها مع ابنها .. ويفيقون من دهشتهم على سباب « حمودة » وثورته المتدفقة وهو يشق طريقه وسط الجمع المحتشد ويعاقب الاثنين ضربا .. الجمع يفكر .. الرجل المتهم من اعوان حموده .. وتحدثهم نفوسهم فى صمت بان الأمر تمثيلية .. الفها « حمودة » ليشوه سمعة امراة ابيه ليتخلص منها ومن ابنها .. والسبب معروف .. الأرض ..

وينفض الجمع وتخلو الدار .. وتبقى بهية ودموعها وابنها .. ابن الثانية عشرة .. تنتظر الصباح لترى الحكم .. ويأتى الصباح .. ويزحف النهار .

ويطرق بابها الحاج محمود .. الرسول المبعوث من عند زوجها « ماضى » ويخبرها بوجوب الرحيل من القرية .

وتسافر بهية وابنها الى القاهرة حيث يقيم اخوها ..

ونترك القرية الآن لننتقل الى القاهرة وراء « رضا » وامه حيث يقع على الابن العبء فى هذا الجزء من القصة وينتهى دور الأم بعد أن قامت بدورها فى المأساة ..

فى القاهرة يحس رضا بالعطف الأبوى الذى افتقده فى والده لما لاقاه من طيب معاملة وحسن رعاية من خاله .. ذلك الرجل الذى يعيش فى احضان التهريب أسير الخوف .. الخوف من البوليس .. والخوف من اعتداء خصم عليه .. ولذلك كان يحول هذا القلق والضياع الى استقرار

فى حياة اخته وابنها ... وقرر ان يذهب رضا الى المدرسة .

ويذهب الى المدرسة .. وما ان تصفو الايام ، حتى يقبض على خاله ويسجن وتمر أيام عجاف : ويعمل رضا فى مطبعة ..

ويعلم ان اخاه حمودة يتزوج .. فيذهب الى القرية مع صديقه «حسن» ليحضر حفل الزفاف ويعود دون أن يعرفه أحد.. وتضطره ظروف المعيشة الى الانتقال الى مسكن جديد ، غرفة فوق سطوح احدى العمارات الواقعة فى ميدان فم الخليج .. وذات يوم يفاجأ رضا بصديقه حسن يقف على عتبة مسكنه الجديد .. وكان بينهما حديث عن القرية وحموده ، وتمتد ذراع الحرب العالمية الثانية من الاسكندرية الى القاهرة .. وتفاجىء الغارات اهل القاهرة.. وتضطرب الأعصاب ويستولى الرعب على القلوب .. ويحتمى الناس فى كل بيت بالمخابىء .. وينزل رضا وامه الى ســرملت العمارة التى يقيمان بها ..

وفى السلاملك ، يلتقى رضا بثريا .. ويربط بينهما الحب ، وينمو هذا الحب بمرور الأيام .. ويحكى قصته لثريا فينفطر قلبها حزنا فتوحى اليه بوجوب السفر للمطالبة بحقه .. ويسافر الى قريته ويقابل الاستاذ البتانونى المحامى ويعرض عليه القضيه ويحاوره المحامى ويساومه وتنكشف لنا شخصية البتانونى وما طبعت عليه من استغلال وطمع .. الامر الذى جعل رضا يشمئز منه ويعود الى القاهرة يحمل بين جنبيه أسى وحزنا تخففه ثريا ووالدها بروحهما المرحة ونفسهما الطيبة.. وتستمر احداث القصة ويخطف الانجليز ثريا وتختفى .. ويظل رضا ووالدها ينتظرانها دون جدوى ويشعر رضا انه يجب ان يفعل شيئا ليعبر عما فى نفسه من ثورة على هؤلاء الذين اختطفوا حبيبته ، ويفكر .. وفى دوامة التفكير يقتل انجليزيا من هؤلاء الذين اختطفوا حبيبته « ثريا » ويعود رضا الى قريته ليقابل البتانونى المحامى ويحضر اخوه الذى لم يتعرف عليه لتغير ملامحه فيغادر رضا المكتب حتى لا يتقابل معه .

ويتم الاتفاق بين البتانونى وحموده على حل يرضى الجميع ويخرج منه المحامى بنصيب الاسد



ويشعر الجميع بارتياح لهذا الحل ولكن يفاجأ رضا والمحامى بقتل حموده .. وتؤول جميع الممتلكات الى رضا الذى يغير معالم ظلم اخيه ويبدد شقاء الفلاحين الى سعادة ويعيش هو وذكرى حبيبته ووالدها .

والقصة بعدهذا العرض الموجز لأهم احداثها يربطها خط رئيسى وهو الابن .. « رضا » وتتفرع منه خطوط أخرى ثانوية تخدم كلها الغرض الذى يهدف اليه المؤلف .

والقصة تنقسم الى قسمين : الأول تقع احداثه فى الريف ... والثانى تقع احداثه فى القاهرة .. ولكن المؤلف استطاع أن يذيب الحد الفاصل بين القسمين بحيث لم يبد كل قسممنفصلا عن الآخر ذلك لأن المؤلف استطاع ان يربط بين المكانين ويطير بنا من القاهرة الى الريف على جناح الذكريات التى يجترها رضا بين لحظة واخرى ، ومن ناحية أخرى

عن طريق « حسن » صديق رضا الذى نراه يعاوده بالزيارة فى فترات ليست متباعدة مزودا بأخبار « حمودة » .. فكان « حسن » رسول المؤلف الذى استخدمه فى ربط القارىء بالقرية المسرح الحقيقى الذى تدور عليه الأحداث ...

وعبد الحليم عبد الله كاتب تصدر كتابته عن اعمال فكر وروية وذلك لأنه يعتبر القصة وعاء يصب فيه افكاره .. وهذا الاتجاه الفكرى على ما اعتقد يجعله يميل فى بعض الاحيان الى عرض الكليات وتقرير النتيجة التى من الواجب ان يصل اليها القارىء بنفسه من سياق الاحداث ، ثم يفسر بعد ذلك الملابسات والظروف التى تحيط بالحدث .. ونلمس ذلك عندما تصحو « بهية » ام رضا فى منتصف الليل لتجد رجلا غريبا فتصرخ لأنها احست بقلبها ، ان المراد ليس سرقة ولا هتك عرض ولكن المراد فضيحة » .. فاوحى لنا بان فى الامر فضيحة دون تمهيد سابق يثبت ذلك ، وعلى الرغم من هذه الفلتة نجده يراعى بعد ذلك بدقة التمهيد للاحداث وتهيئة القارىء ذهنيا لما يستجد من مفاجآت .

ولقد صور المأساة وابرز العنصر الاساسى المتسبب فى وقوعها وهو المال .. « فرضا » لم ينفعه مال ابيه ، وخاله بركات لم ينفعه مال زوجته التى تزوجها بعد قتل زوجها صاحب المقهى الذى كان يعمل به صبيا .. ثم أصبح المالك لكل شىء : المقهى والزوجة ، وعدم منفعة المال لبركات . انه لم يمنحه الأمن والاستقرار وراحة البال التى طالما ظل يبحث عنها بعد رحيله من القرية .. ولذلك ما ان حضرت اخته وابنها من القرية لتجد عنده المأوى والحماية حتى تفتحت مغاليق مشاعره الظمأى الى الحب والحنان .

ولقد كشف المؤلف الغطاء عن شخصية بركات وما تنطوى عليه من حرمان « لقد كان مشتاقا الى حب بلا اشواك فيه شىء من الروحانية كرغبة السكران فى الابتهال الى الله. لقد كان المكسب الحرام والحياة الزوجية الثقيلة الوطأة دافعا خلق فيه اللهفة الى عمل شىء فاضل ». وابان كذلك عن الاحساس الدينى الذى يكمن فى اعماق بركات .. هذا الاحساس الذى جعله يرضى بما ارتكبه صبيه «عزوز» مع زوجته اثناء سجنه خضوعا لحكم الله جزاء له عما سبق ان ارتكبه مع زوجته هذه قبل ان يتزوجها وهى فى عصمة زوجها الأول .

ويبدو هنا ان المؤلف انسان معتدل لايؤمن بالحلول القانونية.. سواء القانون السماوى او الوضعى.. هذا الايمان الذى جعله يتجنب الصراع العنيف بين رضا صاحب الحق واخيه حموده الظالم .. من اجل استخلاص الحق الضائع وسيأتى الحديث عن هذه النقطة .

وبعد ان قدم لنا « بركات » قدم لنا « حمودة » الانسان الذى دفعه الجشع والطمع الى اغتصاب اخيه وحرمانه من حقه المشروع بمساعدة امه « منيرة » التى فقدت بصرها وعاشت ينهش صدرها الندم على جريمتها وزهدت المال والأرض التى شردت من اجلها اسرة رضا وامه وكان يمكن ان يكون مستقبلهما احسن مما آلا اليه بسبب جرمها. بعد ان رسم شخصية حموده من الخارج رسما كاملا ، غاص فى اعماقه وكشف عن الرعب والخوف اللذين يعيش فيها ولا يستطيع ان يتخلص منهما رغم ما يملكه من مال وماله من سلطان .

ويأتى بعد ذلك « رضا » صاحب المأساة و«ثريا» حبيبته ..

اما رضا فهو شخصية هادئة مترددة ليست ايجابية ولم تحقق ما كنا ننتظره من صراع عنيف تبدو فيه التضحية من اجل الارض .. وان كان قد تغلب على هذا التردد الذى يقيده فى مواقف مختلفة من القصة ونتبين هذه الايجابية الذهنية فى الحوار الآتى الذى دار بينه وبين امه ذات ليلة وهما نائمان .. قالت له أمه :

— ارقد يا حبيبى .

فرد فى جفاف .

— لا اريد ان انام ، اريد ان اتكلم ، انا محتاج الى الكلام اكثر من حاجتى الى النوم .

فقالت فى فتور :

— تكلم .. تكلم .

— لماذا خرجنا من بلدنا .. لماذا جئنا الى هنا.

عند سماع هذا الحوار يخفق القلب خوفا عليه ظنا انه سيقدم على خطوات جريئة .. ولكن يتبدد هذا الخوف عندما يجد هدوء ثورته وخمودها و « ثريا » حبيبته اكثر منه ايجابية وانطلاقا .. ومن المعلومات التى قدمها لنا المؤلف عن شخصيتها نلمس انها مستعدة للتضحية من اجل حبيبها .. وتبدو فى ذلك اكثر حماسة منه وهو صاحب الحق .. ولقد لمست ثريا تردد « رضا » ويأسه فكانت تلمزه لمزا خفيفا عندما تجد اندفاعه من اجل الحصول على قبلة لتحرك فيه نخوته ونجحت فى دفعه الى السفر لمقابلة البشانوتى « المحامى » والأمر الوحيد الذى تحركت فيه رغبة الانتقام .. ونفذ فعلا هذه الرغبة عندما خطف الانجليز حبيبته ..



الا انه كان يجب ان تتوفر فى « رضا » روح التضحية والفداء من اجل حقه . ونهاية « حمودة » التى وضعها المؤلف الميال الى حب الهدوء فى حل المشاكل والالتجاء الى القانون السماوى او الوضعى للحكم فيها كما اشرنا آنفا جعلته يضفى شيئا من شخصيته على أبطال قصته .

واخيرا نلاحظ ان **عبد الحليم عبد الله** يربط بين الأحداث الخاصة والأحداث العامة وذلك فى تصويره لحال رضا وما هو عليه من ضيق اليد فهو انعكاس لحال المجتمع المصرى وما كان يعانيه من اضطراب وفقر اثناء الحرب العالمية الثانية .. كما انه يستعمل الرمزية ويميل الى التركيز فى التعبير مما يكسب الاسلوب قوة .

ولا يفوتنا ان نسجل انه لا يغفل الطبيعة فى وصفه فهى عنده كائن حى يحس ويشعر، فهى حزينة كئيبة اذا كان البطل حزينا وضاحكة باسمة اذا كان سعيدا .

والحق أن عبدالحليم عبدالله ساق أحداث القصة فى بناء متكامل وسرد مشوق كما كشف عن سحر المال واثره فى النفوس البشرية الضعيفة التى يستعبدها فيدفعها الى اهدار القيم الخلقية والدينية . وبقيت مسالة الحوار فى القصة .

لقد اثبت قدرة فى كتابة الحوار باللغة العربية دون اغراب فى استعمال الالفاظ ودون أن تبعده اللغة العربية عن واقعية القصة كما يقول هؤلاء الذين يكتبون الحوار باللغة العامية ، والحقيقة ان كتابة الحوار باللغة العربية تحتاج الى حاسة فنية لا تتوفر الا القليل من الكتاب .. ولقد اثبت عبد الحليم عبد الله انه من هذه القلة القليلة .

ابراهيم عيسوى سعفان

الشعر بوق الحسن

للشاعر : على الجندى

فى بعض الندوات الشعرية سأل بعض الناس ألا يمكن للشعراء أن يستغنوا عن النسيب ؟ فقال أحدهم : أجل إذا مات الحب ، وذوى الجمال ، ونضب الشعور وقلت أنا :

الحسن مفتقر الى   شعر يصوغ له الدرر
وله يغنى بالرقا   نق كالنسائم فى السحر
يصف المفاتن فى البوا   دى ، والمباهج فى الحضر
ويصور المحبوب ان   وصل المحب ، وان هجر
والحب سمحا كالربا   والحب كالبحر اعتكر
فاذا جفاه الشعر ، كا   ن الروض أخلفه المطر
والسيف أغفله القيو   ن ، فغال رونقه الكدر
والماس تحت ترابه   لا خبر عنه ولا خبر
والدر تحت الماء فى الـ   بحر المحيط قد استتر
والمسك فى قارورة   خنقت شذاه المنتشر

***

والعلم فى طى الدفا   تر لم تزح عنه الستر
فدعوا القريض يهز أ   عطاف الملاحة بالسكر
وينسق الدر الفر   يد لها ويكسوها الحبر
والحسن يهوى الشعر تشـ   بيبا ، ويهوى من شعر

بلادى

للشاعر : ابراهيم شعراوى



الشمس تشرق فى بلا دى ، لا تغيم .. ولا تكل
والشاطىء المسحور فى جنبيه أعناب ونخل
والتربة المسكية السمـ ـراء تعطى لا تمل
سكن الربيع هنا ، فيا عشاق مرتعه أطلوا
وتخطروا فى ساحها فالروض أطياف وظل
يلهو الفراش بسوسن ويضج عند الشط طفل
والشمل ملتئم فكل عشيرتى خدن وخل
كرم بما ملكته أيدينا وعند العرض .. بخل
كرم لأنا من بنى مصر لنا فى النيل أصل
يا نيل ، يارب الجدود ولم تزل فينا تجل
ما زلت تصرخ فى دمى فيضج ناقوس وطبل
يا نيل ، يا نهر الأسود الشم كل بنيك شبل
لا شىء فى وطنى رخيص كل ما فى مصر يغلو
الا دمانا ، لو عدا عاد ، وداس الأرض نذل
فأنا زرعت النخل فى حر الهجير ليستظلوا
وأنا حفرت الجدول الصـ ـافى هنا ليضم شمل
وأنا أضأت مشاعلى فى الليل حتى لا تضلوا
للناس ، كل الناس ، لا تستعبدوا ، لا تستذلوا
لا تسلبوا عرق الأجير بموطنى ، لا تستغلوا
لا تقتلوا ، فشريعة الغا بات تمزيق وقتل
ضموا أياديكم ففى دفء العناق العيش يحلو
فالخير فى بلدى كثير ليس ينضب أو يقل
والناس فى بلدى جباه شامخات ، لا تذل

صاحب الفضيلة مبعوث الأزهر

بقلم: محمد عبد الله السمان

من المعروف ان الأزهر كما يستقبل الآلاف من أبناء البلاد العربية والاسلامية وغيرها اولئك الذين يرغبون فى الدراسات الاسلامية بين جدرانه ، يوفد ايضا فى كل عام بضع مئات من علمائه الى تلك البلاد ، ليقوموا بتعليم اركان الاسلام وفلسفته لمعتنقيه ، والتبشير به عند من لم يعتنقوه، وقد بلغ عددهم فى العام الماضى ٧١٦ مبعوثا انتشروا فى الهند وافغانستان والملايو واندونيسيا، واليابان والفلبين، ولندن وكندا وامريكا، ونيجيريا، وغير هذه البلاد فى افريقيا وآسيا ، بالاضافة الى سائر البلاد العربية ..

وهؤلاء العلماء المبعوثون تجرى لهم قبل البعثة مسابقات يجتازونها بتفوق ، بل لقد انشىء فى عهد وزير الاوقاف وشئون الأزهر السابق الدكتور محمد البهى معهد للاعداد والتوجيه ، مدة الدراسة فيه سنة ومهمته اعداد المبعوثين الى الخارج ، وقد بلغت شعبه سبعا تتناول : الدراسات العربية ، والمواد الدينية ، والدعوة والامامة ، والوثائق والمكتبات ، والدعوة العالمية ، والخدمة الاجتماعية، ثم السكرتارية الفنية، كما الحق بهذا المعهد شعبة للدراسات الآسيوية الافريقية ، يلتحق بها الطلاب فى بعثة داخلية مدتها عامان ، ويشترط فى كل منهم ان يتقن احدى اللغات الأجنبية الآتية : الانجليزية والفرنسية والالمانية والاندونيسية ثم الأردية..

ومع هذا كله فمبعوثو الأزهر الى العالم يرحلون كل عام ويعودون ، ولا نكاد نحس بهم ، بل لا يكادون يحسون بانفسهم، الا حين يواصلون السعى ليظفروا بالبعثة من جديد ، ويظهر أنهم يدركون – وحسب – ان مهمتهم قاصرة على الاعطاء حين يتوافرون على تدريس الاسلام هناك ، دون أن يدركوا أن مهمة المبعوث يجب ان تكون اعطاء واخذا ، وحتى اذا لم يشترط الأزهر عليهم ان تمتد مهمتهم من التدريس الى الدراسة، دراسة الاسلام دينا وشعبا، وقضايا المسلمين والاسلام ومشكلاتهما ، ففى استطاعتهم ان يثبتوا وجودهم دون أن ينتظروا مكافأة من الأزهر او حتى كلمة شكر من المسئولين فيه ، فالمفروض فيهم انهم ليسوا من ذوى المؤهلات الازهرية العليا فحسب ، بل اصحاب عقيدة اسلامية ايضا ، يجب ان يؤدوا ضريبتها اينما كانوا مبعوثين رسميين او غير رسميين .

انهم – دون شك – يدركون الدور الذى يلعبه المبشرون فى افريقية وآسيا ، فمهمتهم لم تكن قاصرة على نشر المسيحية لفتح ابوابها امام الجماهير الوثنية ، او لبث الشكوك فى عقائد المسلمين ، بل انها تمتد باهتمام كبير الى دراسة البيئة فى شتى نواحيها العقيدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ثم وضع المؤلفات الضخمة التى تسجل دراساتهم ، ثم لتأخذ طريقها بعد ذلك الى الطبع والنشر .

اذكر انى تعرفت منذ سنوات بقسيس فاتيكانى

شاب ، لم تتجاوز سنه الخامسة والعشرين ، وفد الى القاهرة ليعمل واعظا فى احدى الكنائس الكاثوليكية بالقاهرة ، ولم ادهش حين أخبرنى انه ينتهز فرصة وجوده بالقاهرة ـ بلد الازهر ـ ليعد رسالة كبرى عن القرآن الكريم وصلته بالاناجيل الاربعة ، وانه يطلب منى ان اعينه فى الحصول على تفاسير للقرآن ، وان اوجهه الى طريقة البحث فيها. وعلمت انه أقام بالجزائر مدة لتعلم اللغة العربية . لم يدهشنى اجتهاده ومثابرته بالطبع ، ولكن الذى ادهشنى اختياره لهذا الموضوع الدقيق الشائك ، وقلت فى نفسى والألم يفعم قلبى : كم من علماء الأزهر المبعوثين أمثال هذا القسيس الشاب ، يربطون اعمالهم بعقيدتهم ، بل يعتبرون عقيدتهم اساسا لمهمتهم ؟

أنا لا اقصد بالطبع أن أقرر هنا أن كل مبعوثى الأزهر على درجة واحدة من الخمول والتقصير، فان البعض منهم لا يفوته ان يؤدى ضريبة عقيدته عليه ـ وان كان هذا البعض فى حكم النادر الذى لا حكم له ـ ويحاول اثبات وجوده ليبذل جهدا مشكورا فى الدراسات المناسبة ، ثم يعود وقد أدى ما عليه، ليواصل جهده فى نشر دراساته لتاخذ مكانها فى المكتبة الاسلامية ..

هذا التمهيد قصدت منه أن اسجل كلمة تقدير واعجاب بعالم من علماء الأزهر ومبعوثيه ، بمناسبة صدور كتابه الجديد : « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » انه الاستاذ عبد المنعم النمر ، الذى بعث الى الهند عام ١٩٥٦ من الأزهر ، وقضى هناك أكثر من عامين مدرسا باحدى جامعاتها ، حيث استغل أوقات فراغه فقام بدراسات على جانب من الاهمية فى تاريخ الاسلام فى الهند وحضارة المسلمين وجهودهم فى الميدانين الثقافى والسياسى ، وحين عاد الى القاهرة مدرسا بالازهر ثم مفتشا به لم يدع دراساته تقبع فى احدى زوايا مسكنه، ولم يستودعها الله فى احد أروقة المخطوطات بدار الكتب أوالجامعة العربية او حتى مكتبة الازهر ، بل سعى بنفسه الى نشرها وبعث الحياة فيها ، وكان أن نشر كتابه الأول : « تاريخ الاسلام فى الهند » فى أوائل عام تسعة وخمسين وتسعمائة والف ، ونشر كتابه الذى بين أيدينا « كفاح المسلمين فى تحرير الهند »

والكتاب الثالث المكمل لدراساته بين يدى المطبعة فى طريقه الى النشر وهو تراجم وافية عن اعلام الهند المسلمين ..

وكتابه : « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » الذى بلغت صفحاته ثلثمائة وخمسين صفحة، له خطورته لأنه يسجل فترة حاسمة من تاريخ الهند وكفاحها ضد الاستعمار ، قام خلالها المسلمون هناك بالدور الأول البطولى ، دون أن يتكرم التاريخ عليهم بشىء يذكر من الانصاف ، كما يسجل ما لقيه المسلمون من العنت الطائفى مما أزهق الالوف المؤلفة من أرواحهم ، دون أن يضفى عليها كلمة رثاء واحدة من التاريخ نفسه ، ويتصدى المؤلف العالم الاستاذ عبد المنعم فى كتابه لهذه الفترة الحاسمة من تاريخ الاسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية ، فيصحح اخطاء ، ويزيل أوهاما ، ويهتك شبهات ، ويدحض مفتريات ، متحريا فى عمق قيم النزاهة والصدق ، والعدالة والانصاف ، دون ما تعصب أو تشدد او تطرف .

يقول المؤلف فى مقدمته :

.. وحفزنى الى الكتابة عن هذه الفترة، ما لمسته لدى قراء العربية من معلومات متناثرة عن تاريخ المسلمين هناك ، أكثرها لا يمت للحقيقة بصلة ، بل يهدر كثيرا من جهودهم ومواقفهم الجريئة ضد الاستعمار ، وتضحياتهم العظيمة من اجل تحرير الهند .. فقد هالنى ما سمعته من احكام ظالمة قاسية يصدرها بعض المثقفين ـ الذين لهم نصيب ومشاركة ايجابية فى توجيه الجيل الحاضر ـ على المسلمين الهنود وموقفهم من الاستعمار، ويصورونهم بأنهم كانوا ضالعين مع الانجليز ضد الحركة القومية ويودون أن تبقى للاستعمار سيطرته على البلاد ، فى الوقت الذى كان فيه هؤلاء اسبق مواطنيهم الى مقاومة الانجليز ، منذ وضعوا اقدامهم على ارض الهند ، كانوا يعيشون لمبدئهم الذى تلقوه عن اسلافهم ، مبدأ الجهاد لاخراج الانجليز من الهند ومن كافة البلاد الاسلامية بالتالى .

والمؤلف لم يكتف بسرد الوقائع سردا تاريخيا بل أهتم اهتماما كبيرا بتحليل الأحداث تحليلا دقيقا بملابساتها وظروفها . ويعنى بمسألة تقسيم الهند

الى دولتي الهند وباكستان ، ويذكر ان تقسيمهما على اساس ديني كان مما ساعد على تشويه موقف المسلمين عندنا ، دون ان نتعمق ونعرف الظروف والبواعث التى حدت بالمسلمين هناك الى اتخاذهذا الموقف على كره منهم ، ونعرف المسئول عن ذلك.

كما يهتم المؤلف ايضا : بالدفاع عن موقف المسلمين فى عدم التعاون مع حركه اللا عنف التى بدأ بها غاندى عام ١٩٢٠ ، وذلك لان الاسلام لا يقر السلبيه المطلقه اذا كانت استسلاما كليا لظالم يفعل بفريسته ما يريد ، ولان حركة غاندى ليست كما نتوهمها – قد اعتنقها الشعب الهندى كله او اغلبه أو انها سارت فى طريقها كما يريد ، وانها تبعا لذلك هى التى حققت للهند آمالها فى الاستقلال، واستدل المؤلف برأى نهرو فى فكرة غاندى فى : انهـا كانت ملائمة الى حد ما للتفكير الهندى ، ولكنها لم يكتب لها النجاح فى الميدانين السياسى والاجتماعى .

وكذلك يبدى المؤلف اهتمامه بمشكلات: كشمير وحيدر اباد وجوناكدا ، وموقف الاستعمار البريطانى الذى حرص على الا يرحل دون ان يخلف من ورائه مشكلات كفيلة بان تستنزف دماء الالوف من ابناء الدولتين الكبيرتين .

كان من رأى الاستعمار وهو يوقع وثيقة الاستقلال للهند على رغم منه ، ان يترك لأمراء هذه الولايات حق تقرير المصير : اما الى الهند واما الى الباكستان مع مراعاة التقسيم الطائفى ، ودون اى اعتبار للشعب ، وحتى هذا المبدأ الجائر لم تلتزم به الهند، فحاكم حيدر اباد مسلم طلب الانضمام الى الباكستان وكذلك حاكم جوناكدا ، فبادرت الهند الى احتلالهما، واستجابت الهند الى نداء حاكم كشمير الهندوكى لولاية اغلب سكانها مسلمون واستولت عليها. .

وهكذا بدا التناقض واضحا لا فى المجال السياسى وحسب ، بل فى المجال الخلقى ايضا ، حيث تخلت الهند عن مبدأ اللاعنف فى قضايا هذه الولايات الثلاث التى تخاصمها فيها الباكستان ، وتمسكت بهذا المبدأ ازاء الاستعمار البريطانى الذى انهك قواها ، وتتمسك به الآن ازاء بعض المقاطعات التى لم يزل يحتلها الاستعمار البرتغالى وغيره .

ان الاستاذ عبد المنعم النمر تمسكا بمبدأ النزاهة فى الحكم ، كما ارخ لبطولات المسلمين فى تحرير الهند ، وسجل لهم صفحات ناصعة بيضاء ، لم يرحم بعض الزعماء المسلمين الذين تواطأوا مع الاستعمار من اجل مكاسبهم الشخصية ومنافعهم الذاتية . وفى مقدمة هؤلاء الزعماء المنحرفين السير سيد أحمد خان وغيره .

وقد يرى ضيق الأفق ان المؤلف اعتمد كثيرا على النقول فى اسراف ، دون ان يدرك ان التاريخ لقضية من القضايا السياسية يجب أن يعول كثيرا على النقول ، ولا سيما ما يمثل منها آراء على جانب من الدقة والنزاهة معا ، وحسب المؤلف العالم انه قدم الى المكتبة العربية اول كتاب من نوعه يؤرخ لكفاح المسلمين فى تحرير الهند ، ويقف الى جانب الكتب العديدة التى هبطت على المكتبة العربية عن غاندى ونهرو وغيرهما ، ومذكرات خاصة بهم عن ذكرياتهم فى حركة التحرير الهندية من وجهة نظرهم الخاصة دون ان يعنوا بغيرهم ، وكانت هذه الكتب والمذكرات الخاصة هى النافذة التى امكنان نطل منها على شيء من تاريخ الحركة الاستقلالية فى الهند .

***

وبعد ...

فنى اود هنا : انى لا اقصد ان اغمط اقدار مبعوثى الازهر الى العالم ، فان توافرهم على تدريس الاسلام ونشره عمل جدير بالتقدير ، وانما اريد ان تمتد مهمة المبعوث الازهرى الى الدراسة والتنقيب فيما يتصل بقضايا الاسلام والمسلمين ، ويا حبذا لو اشترط الازهر فى المبعوثين مثل هذه الدراسات ، فيكون جهدهم مضاعفا ، ويا حبذا لو اخذ على عاتقه نشر هذه الدراسات لتتم الفائدة .

انني آسف اذ اقول : ان دراسات الاستاذ عبد المنعم النمر لم يحس بها الأزهر ولم يفكر فى ان يحس بها ، وهو يطبع كتابه الثالث الآن فى احدى دور النشر بالقاهرة ايضا – ومع ذلك فان على المبعوث ان يعمل اولا ، وليس له أن ينتظر الجزاء من الأزهر أو من غيره ، فان الفرق بينه وبين غيره انه اراد لنفسه أن يكون صاحب عقيدة تنتظر منه واجب الوفاء اينما كان وحيثما وجد ...!

محمد عبد الله السمان

مصادر القصص القرآني

بقلم: عبد الحميد ابراهيم محمد

ان القارىء للقصص القرآني لتصافح أذنه أسماء شخصيات ، ويلاحظ أحداثا ومشاهد يجدها في التوراة والانجيل ، بل أحيانا يجد مشابهة الى حد ما في سير بعض القصص ، كقصة يوسف . فسرعان ما ينتقل ذهنه الى سؤال : هل استقى القرآن أحداثه القصصية من تلك الكتب السماوية ، وهل صنع صنيعها في بناء قصصه ، أو أن الأمر لا يعدو مجرد اتفاق في أسماء ، ومشابهة في أحداث ؟

ان أدنى تصفح للقصص كما هي في القرآن وللقصص كما هي في التوراة مثلا ، ليوحي بأن بينهما مخالفة ، لا في التفصيلات والجزئيات فحسب ! بل وفي الغرض ، والمنهج .

فروح التاريخ ظاهرة في التوراة ، فتحس أنك أمام كتاب تاريخ أولا ، ثم كتاب عظة ثانيا ، فهي تبدأ فتؤرخ للكون من قبل خلق آدم ، ثم تسلسل التاريخ ، كما يفعل المؤرخ الذي يهمه ترتيب الأحداث ومراعاة الزمن . ولا تنسى في خلال ذلك ان تعقد كتابا لأولاد آدم ، تذكر فيه أسماءهم وأعمارهم ، حتى تصل الى نوح ، فتعقد كتابا لأولاد نوح ... الخ . وهي تتنبه لبعض الملاحظات التي يتنبه لها المؤرخون ، فتحدد الأمكنة ، وتذكر الأسماء ، وتفصل الاحداث ، فالجنة ـ كما في سفر التكوين ـ قد غرست في عدن شرقا . والشجرة التي نهى عنها آدم تسمى شجرة معرفة الخير والشر . وفي الجنة نهر ينقسم الى أربعة رءوس ..

وليس هكذا صنيع القرآن ، فانه كتاب عظة أولا وقبل كل شيء ، ولذلك اختلف نهجه عن نهج التوراة فهو لا يبالي بالأسماء ، ولا بالجزئيات ، ولا يذكر أولاد الأنبياء ولا أعمارهم ، ولايعنيه تحديد الأمكنة ، ولا ترتيب الأزمنة ، وكل ما يهمه ان يركز الضوء على الحدث الذي يخدمه في غرضه ، لا ينساق مع التفصيلات ، ولا يضيع العظة في غمار الاحداث .

اختلف الغرض اذن في القصص القرآني عنه في قصص التوراة ، فاختلف النهج بينهما ، واختلفت التفصيلات والتفريعات . وكل هذا وغيره يجعلني اقول : انهما لم يتفقا في كثير من الاشياء ، ولم يحذ أحدهما حذو الآخر ، وانما هو مجرد اتفاق في بعض الاسماء ، ومشابهة في بعض الاحداث .

ولكن من أين أتت تلك المشابهة ، وذلك الاتفاق ؟

عرف العرب اليهود قبل الاسلام ، عرفوهم في المدينة وما حولها ، وعرفوهم في اليمن ، واستعرب بعض اليهود وقالوا شعرا بالعربية كالسموءل بن عادياء كما تهود بعض العرب . وعرف العرب أيضا النصرانية ، عرفها الغساسنة على حدود الشام ، وعرفها المناذرة على تخوم العراق . وتعرب بعض من النصارى كعدي بن زيد ، كما تنصر بعض من العرب كورقة بن نوفل .

فلا غرو أن تنتشر بين العرب قصص التوراة والانجيل . اذ تحدث اليهود عن قصص موسى وأخيه ، وعن داود وسليمان ، وعن هاروت وماروت ، وعن يأجوج ومأجوج . وتحدث النصارى عن عيسى وأمه ، وعن المسيح وصلبه . ويسمع العرب بكل هذه القصص ، فتصادف لديهم حاجة ، ويتداولونها . ويسارع الشعراء الى ارضاء هذه النزعة ، فينشئون القصائد لذلك . ونضرب المثل بامية بن أبي الصلت ، فقد التقط ما هو متطاير في الجو من أحاديث وخرافات ، وعكسه في شعره في شكل قصائد ، تتحدث تارة عن قنزعة الهدهد ، ومرة عن قصة الفداء ، وثالثة تسجل حوارا بين موسى وفرعون ، ورابعة تتحدث عن الحمامة التي انقذت ركاب سفينة نوح ، وخامسة عن عيسى بن مريم

والى جانب هذا يحدثنا التاريخ عن قوم ليسوا

يهود ولا نصارى ، قوم قد ضاقت نفوسهم بما يفعله قومهم ؛ فعبدوا الله على ملة أبيهم ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ؛ وان السيرة لتحدثنا ان محمدا (ص) كان من هؤلاء الحنفاء ، وكان يخلو فى غار حراء يتعبد فيه على ملة ابراهيم .

ومن المنطقى أن يكثر هؤلاء الحديث عن أبيهم ابراهيم ، وعن ابنه اسماعيل جد العرب ، وعن بئر زمزم التى أعاد اكتشافها عبدالمطلب جد النبى (ص) . ولكن هل كان هذا هو كل الرذاذ الذى ينتشر فى افق الجزيرة العربية ، ويكون ثقافة أهلها ؟؟

لا .. فقد وجدت ـ بجانب ذلك ـ ثقافة اخرى ، تعاونت على تكوينها البيئة الصحراوية ، والتربية العربية ، والاتصال بالأمم المجاورة .

فالعرب أمة تعيش فى صحراء رهيبة ، يلفها الليل بطياته ، فيزيدها رهبة ، وتتردد فى جنباتها أصداء الرياح ، وتطل عليها عيون من السماء ذات شرر ، وتتناثر فيها هنا وهناك الشهب المشتعلة . فماذا يفعل العربى أمام تلك المظاهر ؟ لقد جسدها ، واعتقد أن هناك جنا تملأ الصحراء ، فكثر حديثهم عن الغيلان والسعالى ، وعن الهواتف ، وعن تشكل الجن فى صور مختلفة ، وذكروا أن منهم من كان يصاحب الجن ، ومنهم من كان يتزوج بها ، الى غير ذلك من أوهام ، يرى المسعودى (مروج الذهب ١/٣٢٦) ان ذلك بسبب التوحد فى القفار ، والتفرد فى الأودية ، لأن الانسان اذا سار فى المهامه داخلته الظنون الكاذبة ، والأوهام الفاسدة ، فصورت له الاصوات ، ومثلت له الاشخاص ، وأوهمته المحال .

وشاعت بين العرب شخصيات اسطورية ، حاكوا حولها حكايات يحملونها الأمثلة والأفكار ومن هؤلاء شخصية لقمان ، فقد كانوا يضربون به المثل فى الفطنة والزكانة ، وفى المكر والدهاء ، وينسبون اليه أمثالا فيها خبرة الدهر وحكمة الزمن .

وحكايات الحيوانات شاعت بين هذه الأمة البدوية ، فالظليم ذهب يطلب قرنين ، فرجع بلا أذنين . والهدهد أراد أن يبر أمه بعد موتها فحملها على رأسه وبقيت فيه الى اليوم . والحيوانات تنطق بالأمثلة فتشيع بين القوم ويتناقلونها ، كقصة الأرنب والثعلب حين احتكما للضب . فقد وردت فيها أمثال كثيرة . جاء فى دائرة المعارف الاسلامية فى مادة أمية « وابن أبى الصلت مولع الى جانب ذلك بقص بعض الحكايات على السنة الحيوانات . ويلاحظ فى شعره أيضا ذكر للأعمال السحرية » .

هذه شذرات ضربناها مثلا للثقافات المختلفة التى ساهمت فى تكوين العقلية العربية ، وتشكيل وجدانها ، ورسم لاوعيها .

فما هو موقف القصص القرآنى إزاء تلك الثقافة ، وهذا الجو الذى نشأ فيه ؟

ان جزءا من تلك الثقافة أدخل فى باب الأساطير ، كما تبين لنا من تعليق المسعودى على الهواتف والجان ، والظنون الكاذبة ، والأوهام الفاسدة . فهل يلغيها القرآن ـ وهو تنزيل من حكيم عليم ـ بجرة قلم ؟ واذا فعل ، فهل يستطيع ان يضمن لدعوته النجاح ، أو أن النتيجة ستكون ازورار القوم واعراضهم عن هذا الشىء الذى يصدم وجدانهم ، ويهزأ بلا وعيهم ؟؟ .

ان القرآن لم يصدم وجدانهم ، ولم يهزأ بلاوعيهم ، بل استطاع أن يتحايل مع هذا الوجدان، وأن يطب لهذا اللاوعى ، حتى أمكنه نقل العرب من عقائدهم القديمة ، الى عقائد اسلامية جديدة .

« .. حرك لها جوارها نحن ، تماما .. لقد حرك القرآن أشياء تهم العرب ، فحنوا اليه ، واستجابوا لمبادئه .

نظر القرآن فوجد شخصيات اسرائيلية مالوفة وشائعة بين العرب ، فلم لا يحملها مبادىء دعوته ، ويكسب سمعتها والفتها ، فيجعلها تهمس بمبادىء اسلامية « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يابنى، ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم **مسلمون** . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد الهك ، واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق ، الها واحدا **ونحن له مسلمون** » . أشك فى أن هذا الموقف قد حدث بقضه وقضيضه . فلم يكن الاسلام قد ظهر أيام ابراهيم وأبنائه ، حتى يوصى به الآباء الأبناء . ولكنه التصوير الأدبى الرائع ، الذى يتخذ من شخصية مشهورة ، شاعت قصصها واخبارها وسيلة لبث المبادىء والأهداف .

وذلك أيضا عيسى بن مريم ، النبى الذى دارت أحاديثه على الألسنة ، وذكر أمية قصته فى شعره ، فلم لا يلجأ القرآن الى وسيلة أدبية رائعة ، فيحمل عيسى هذا مبادىء الدعوة الاسلامية « فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال من أنصارى الى الله ، قال الحواريون : نحن انصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بانا مسلمون »

ويشيع الحنفاء فكرتهم عن بناء ابراهيم واسماعيل للكعبة . وهنا موقف خصب للقرآن ؛

فليأخذ تلك الفكرة ، وليكسب انصارها الى صفه ، ثم يوحي اليهم بمبادىء دعوته « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . **ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا امة مسلمة لك .... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو** عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

وشاعت بين العرب عقيدة الجن ، وآمنوا بها ايمانا عميقا . افلا يكون اعجازا ان يحمل القرآن شخصية « جنية » بعض مبادىء الدعوة ؟ وقد حدث ، اذ تخيل نفرا من الجن وأجرى على السنتهم حديثا اسلاميا ، تضمنته سورة الجن ، منه « **وانا منا المسلمون ، ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا** » . ان النظام من المعتزلة ينكر وجود الجن ، والزمخشرى يرى أن زعم من يدعى رؤيتهم زور وخرافة ، ومحمد عبده يفسر الجن بالميكروبات الخفية ، ولكن هؤلاء وغيرهم لا يستطيعون انكار اثر هذه السورة ، وقدرتها على جذب افئدة العرب ، لأنها تجرى حديثا على السنة شخصيات تعيش فى وجدانهم .

والعرب قبل انبلاج الاسلام كانوا يتشوقون الى المجهول تشوقا عارما ، فهم فى مرحلة الانتظار التى تسبق عادة الثورات والدعوات الكبرى ، وكانوا يحاولون كشف الحجب ، وازالة السجف . تارة بالاستعانة بالجن والشياطين ، واخرى باللجوء الى العرافين والكهان ، وهنا يبدو اعجاز القرآن فيدق على هذه النغمة . ويقص فى سورة الكهف قصة موسى مع ذلك العبد الذى آتاه الله من لدنه علما . فموسى هنا فى نظرى يمثل العربى فى قلقه وتشوفه . وما ذلك العبد الا مثل يضربه القرآن للعرب ليأتوا البيوت من ابوابها . وليعرفوا ان الجن والشياطين والكهنة والعرافين ، لن يستطيعوا من ذلك شيئا . لذلك لم يكن عبثا ان يقول لموسى فتاه « انى نسيت الحوت ، وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره » . فالشيطان الذى يسند اليه العرب معرفة الخبايا ، مدعاة للنسيان . ولم يكن عبثا ايضا ان يعلق العبد اللدنى . بعد أن ازال لموسى الحجب بقوله « رحمة من ربك ، وما فعلته عن امرى » نعم ، انه لا يستطيع ان يفعله عن امره ، ولن تستطيع الشياطين ، ولا الجن ، ولا العراف ، ولا الكهان أن يفعلوا شيئا عن أمرهم .

وشخصية لقمان ، شخصية اشتهرت بأنها ذات حكمة وفطنة . افلا تكون مناسبة لأن يحملها القرآن مبادىء دعوته . انها اشبه بحوار العرب الذى يحرك لها ، فيلين صعبهم ، ويزول الوقر من آذانهم الذى اشار اليه القرآن فى اول سورة لقمان ، ويتنبهون لنصائح لقمان لابنه . وهى نصائح اسلامية يامره فيها بالصلاة والزكاة .. الخ .

وعرفنا ان العرب قد عرفوا قصص الحيوان . فيسير القرآن فى هذا الاتجاه . ويجعل بعض الحيوانات تنطق بمبادىء اسلامية . فمثلا شخصية الهدهد حيكت حولها اساطير جاهلية واذن فليختره القرآن ، وليجعله ينطق فى ثقة المؤمن ، وحرارة صاحب العقيدة ، بقوله وهو يخاطب سليمان : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس دون الله ، ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ، ويعلم ماتخفون وما تعلنون .. » فيامره سليمان ، بأن يلقى اليهم كتابا ، مستفتحا بما استفتحت به السور القرآنية التى نزلت بعد سليمان بقرون ، ويامرهم فيه بترك العناد ، والاتيان له مسلمين وهذا نصه : « **بسم الله الرحمن الرحيم : الا تعلوا على ، وأتونى مسلمين** » .

لقد كان المشركون قصيرى النظر ، حين اقتصروا على وصف القرآن بانه ما هو الا اساطير الأولين ، ولم يتنبهوا الى ماتحتويه هذه التى يسمونها اساطير الأولين من ايحاءات ومن معان ثانية ، جاء فى تفسير الرازى « انهم كلما سمعوا شيئا من القصص ، قالوا ليس فى هذا الكتاب الا اساطير الاولين **.ولم يعرفوا ان المقصود منها ، ليس هو نفس الحكاية ، بل امور اخرى مغايرة لها** »

وفذلكة الموضوع ، ان مصادر القصص القرآنى لم تكن التوراة ، كما هى مدونة فى كتب اليهود . ولم تكن الانجيل كما هى مكتوبة عند النصارى . ولكنها كانت وجدان العرب وثقافتهم ، وما يعتلج فى لاوعيهم ، ويعتور فى مكنونهم .

وذلكم هو الاعجاز الفنى الخالد . الاعجاز الناشىء من العلاقة الوشيجة بين الكلمة والمتلقى .

وهذا ايضا هو سر نجاح كل اثر فنى وذيوعه . ومانجاح توفيق الحكيم فى « عودة الروح » ونجيب محفوظ فى شعبياته ، الا بسبب انهما استطاعا ان ينفذا الى الروح المصرى وأن يعكساه وما نجاح تشيكوف الا بسبب تغلغله الى أعماق الشعب الروسى ووجدانه .

عبد الحميد ابراهيم محمد



توصيات المؤتمر الثانى

لأسبوع الكتاب العربى



الأستاذ يحيى ابو بكر

اسفرت المناقشات في المؤتمر عن التوصيات التالية :

اولا : فى النواحى التشريعية :

١) يرى المؤتمر المبادرة الى تكوين اتحاد الناشرين فى ج ٠ ع ٠ م ، لانه نقطة الانطلاق نحو التنظيم الفعال في انتاج الكتاب العربى وترويجه ، لذلك يؤيد المؤتمر مشروع القانون الذى اعده المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في شأن انشاء اتحاد للناشرين في ج ٠ ع ٠ م ٠

٢) يرى المؤتمر ان تحقيق الوظيفة الثقافية والاجتماعية للكتاب في المجتمع الجديد يقتضي ان يكون في التشريع مايزيد رواج الكتاب في الداخل والخارج ، ولذلك يوصي المؤتمر في هذا الشأن بما يلي :

ا ـ في الداخل :

١) تخفيض اسعار الاعلانات عن الكتب في الصحف والاذاعة والتلفزيون بمعدل ٢٥٪ من الاسعار المحدده .

٢) نقل الكتب مجانا في قطارات الصحافة اسوة بالصحف .

ب ـ في الخارج :

١) تطور تسويق الكتاب العربى فى الخارج فى ضوء النتائج الفعلية التى تحققت من سياسة فتح الكتبات ٠

٢) السماح بنقل النسخ الأول المهداة الى الوكلاء والمكتبات في طائرة الصحافة مجانا ، تعريفا بالكتب التى تصدر حديثا ٠

٣) وضع سعر الكتاب على غلافة بالعملات الاجنبية المقابلة لسعره بالعملة المصرية

ثانيا : فى النواحى التحريرية :

يسجل المؤتمر النهضة التى حققتها حركة التاليف والترجمة في العام الماضي وينوه بالجهود التى قامت بها دور النشر بالقطاعين العام والخاص ، ودعما لهذه النهضة يوصى بما يلي :

١) توجيه عناية خاصة بالكتب العلمية والتكنولوجية تاليفا وترجمة مسايرة للمرحلة التى يمر بها مجتمعنا الحاضر ٠

٢) يوصي المؤتمر بارتياد الافاق الجديدة في انتاج الكتب ويرحب في هذا الصدد بظهور كتب « اسمع واقرا » وهو يرجو ان يرى قريبا الكتاب المجسم والكتاب المتحرك ، للاطفال .

٣) يوصي المؤتمر بتيسير استيراد الكتب

في المجلات الثقافية والعلمية الاجنبية وبخاصة ما تحتاج اليه الجامعات ومراكز البحث العلمي ودور النشر للرجوع اليها او ترجمتها .

٤) يوصي المؤتمر بتنميط مواصفات الكتاب وذلك :

أ ـ بتوحيد بيانات صفحة العنوان ومنها النص على تاريخ النشر .

ب ـ بعمل فهرس لكل كتاب ووضعه في اوله .

ج ـ عمل كشاف مصطلحات في آخر الكتب العلمية والمترجمة .

(د) ذكر العنوان الاصلي للكتاب المترجم بلغته ووضع بيانات كتب التراث في آخرها بالاحرف اللاتينية .

ثالثا : في النواحي الانتاجية :

يلاحظ المؤتمر ان مسايرة التقدم العالمي السريع في العمليات الانتاجية لصناعة الكتاب تقتضي تعزيز مواد الانتاج ووسائله ، ولذلك يوصي بما يلي :

١ ـ السماح باستيراد انواع الورق والحبر التي لاتنتجها الشركات المحلية في الوقت الحاضر . وتيسير استيراد الات الطباعة الحديثة وقطع الغيار .

٢ ـ ادراج انشاء مصنع للاحبار ضمن خطة التنمية الثانية .

٣ ـ انشاء معهد عال للطباعة يدخله خريجو المدارس الثانوية الصناعية والعامة وانشاء دراسات تخصص للطباعة بعد البكالوريوس ، باحدى كليات الهندسة .

٤ ـ تخفيض سعر ورق الطباعة الى الحد الذي يسمح بانتاج الكتاب الجيد بسعر يلائم القارىء .

رابعا : النواحي التسويقية :

يسجل المؤتمر بالتقدير المجهودات التي بذلت حتى الآن في سبيل نشر الكتاب العربي، ويوصي باستمرارها . كما يوصي دور النشر وبخاصة مؤسسات القطاع العام أن تتعاون فيما بينها على توسيع شبكة التوزيع بانشاء مكتبات في المدن الخالية منها ، وبتبادل المطبوعات بين الناشرين .

● حول أدب سعيد العريان : هو موضوع الندوة التي يقيمها نادي القصة وجمعية الأدباء مساء الأربعاء القادم . ويشترك في المناقشة : الدكتورة سهير القلماوي والدكتور مهدي علام والاستاذ محمد خلف الله أحمد .

● يناقش هذا الاسبوع الدكتور عفيفي محمود والشاعر عبده بدوي كتاب « في صحبة العقاد » تاليف طاهر الجبلاوي ، والمناقشة في ندوة ناجي ..

● من الاعماق ـ اسم الديوان الجديد الذي يصدر قريبا للشاعرة عزيزة كاتو .

● ستصدر مجلة الافق الجديد الاردنية عددا خاصا عن ادب النكبة في اول يناير القادم . (المجلة تصدر في القدس)

● صدر عن دار القلم كتاب « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » للمجاهد العربي عبد الله التل .

● غنيت للدنيا .. ديوان جديد للشاعر محمد علي أحمد يصدر خلال الشهر القادم .

● أرسلت الهيئة المحلية للفنون والاداب بالاسكندرية الى الأدباء والشعراء السكندريين دعوات خاصة تطالبهم فيها بتقديم مقترحاتهم بمناسبة افتتاح الموسم الثقافي الجديد .

● تقدم الشاعر محجوب محمد موسى بديوانه « اغني للناس » لمشروع الكتاب الأول .

● سترسل محافظة البحيرة الاديب حسن قاسم ليمثل أدباء البحيرة في مهرجان الشعر ببغداد ... المحافظة دفعت نفقات سفر مندوبها ذهابا وايابا .

● سيسافر الاستاذ عصام الحيني الى بغداد في يناير القادم كمندوب لمجلس الفنون ليرتب ماتتطلبه اقامة الشعراء العرب الذين ستدعوهم الجمهورية العربية المتحدة الى مهرجان الشعر في بغداد .

● الكتاب الذي يؤلفه عباس خضر لسلسلة أعلام العرب ـ عن «محمد تيمور» وليس محمود تيمور كما جاء في العدد الماضي بسبب خطأ مطبعي .

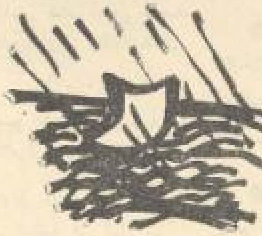
ظلال

للشاعر : البيلى عبد الحميد حسن

● سمراء :

سمراء يانور الحياه ..
يا بسمة فوق الشفاه
يا ضحكة الأمل الطروب تماوجت فوق الجباه
يا زهرة الفجر الندى تـزف للدنيا شذاه
يا آية الحسن الفريد اذا تمليتا سناه ..
.. أواه من نار الهوى .. يا جنتى أواه .. ؟!

زورق في عاصفة



أنا المرء الذى دنياه ليل
من الآلام ، لم يشهد صباحه
مضى فى الكون زورقه فريدا
يبعثر فى الدجى الطاغى .. جراحه
وحاصره الضباب ، فظل يبكى
وريح الليل مارحمت جناحه
وصار الموج يدفعه لدنيا
من الاجداب قد شربت كفاحه ..
.. فراح يردد الآهات شدوا
ويسكب فى فم الدنيا نواحه !

إنسان

جاء الحياة .. وليته ما جاء يعصره العذاب
ورأى طريقا عاصفا بالهول ، يزخر بالصعاب
فمشى به « حملا » ضعيفا بين أنياب الذئاب
وغدا سيتركه ، ودون مرامه يلقى الحساب
متسائلا : هل للثواب نهايتى أم للعقاب
دنياى رحلة حائر جوعان يقتات السراب ؟ !



ماذا يدور في الحفل الأدبي

بدأت الجبهات الأدبية تتحرك في كافة الميادين ، ففي رابطة الادب الحديث رأينا تجربة جديدة كنا قد دعونا اليها على صفحات هذه المجلة في العدد ١٠٦٠ وقلنا ان الشعر يلقى في الندوات كفقرات مرفهة مما يجعله يشبه « الموسيقى الخلفية » التي تكون في خدمة أحد النصوص ، وانه ان لم يتخلل الابحاث التي تلقى فانه لايعدو أن يكون حزمة متنافرة الاضواء لمجموعة من الشعراء ، وأن هذه الحزمة تمس بالعينين مسا خفيفا من أحدالنقاد ، ثم يخرج الناس دون أن تتكون عندهم فكرة واضحة عن الشعر وأبعاده في هذه الفترة .

وفي ضوء هذا دعونا الى مايسمى بالقراءة الشعرية من شاعر واحد يغمر بعض الليل بما يختاره هو من شعره ، ثم يعقبه ناقد بالدراسة ، ثم يفتح الشاعر قلبه للأسئلة من الجمهور .. ومن خلال التجربة التي تمت بين الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي وبيني أعتقد أنها تجربة ناجحة ، وأن على كافة نوادينا الثقافية أن توفر هذه اللقاءات بين شعرائنا وبين الجمهور ، فقد يأتي اليوم الذي تستطيع فيه هذه النوادي أن تنافس الاقبال على السينما والمسرح ، وأن يوجد الجمهور الذي يستطيع أن يردد مع الشاعر بعض المقاطع من شعره في صورة جماعية ، وأن تتحقق ظاهرة « الطابور » لسماع ليالي الشعر في ليالي القاهرة .

***

● **وفي الجمعية الادبية المصرية** شهدنا لقاء بين عدد كبير من المفكرين كان نجمهم ـ بحق ـ الدكتور سهيل ادريس ، فقد ألقى كلمة بدأها مرحة ، ثم انتهى بها الى الجد المشرع كحد السيف ، حين تكلم

عن عشرات التيارات التى تنصب فى عالم الادب فى لبنان ، وعن ضرورة اخصاب الارض بالكلمة العربية الشريفة ، وعن الدور الطليعى الذى يجب أن يأخذه أدباء الجمهورية العربية المتحدة فى العالم العربى ٠

***

● **وفي مقر الرسالة حضرت** الدكتورة الالمانية سامية الازهرية ، التى تعمل الآن فى معهد « فسيولوجيا الاعصاب » بالسويد ، وفى الوقت نفسه تهتم بما تسميه اللغة الموحدة ، وتقول ان عالمها الذى يجب أن تبدأ به هو عالم الطفل ، ومن هنا كانت حريصة على أن ترينا « بروفات » كتاب يجمع بين قصص بالعربية ، وترجمتها الى هذه اللغة التى تدعو اليها ، وقد طافت من أجل هذه الغاية بالمغرب والسودان والاردن وسوريا ولبنان ، كما حضرت الى الجمهورية العربية المتحدة مرتين ، وقد كانت من الجد والحماس للفكرة الى حد أنى حين استوقفتها لتكلمنى عن ابنها « أحمد » الذى تركته فى السويد والذى لم يتجاوز عامه السادس ٠٠ لم ترد أن تتوقف أو تتنهد ، وانما تابعت حديثها فى صوت ووجه وأهداب صارمة عن اهتمامها بالاصل الواحد الذى يكاد يكون الخيط الرئيسى بين كافة الشعوب فى الادب الشعبى ٠

وحين قابلتنى فى الاسبوع الثانى للكتاب العربى عندما تعرضه مكتبة الكيلانى لم تنس أن تقول لى ـ بالصوت والوجه والاهداب الصارمة ـ ارجو أن تكتب عنى الرسالة ، وكلفت أحدالواقفين بأنيرسل اليها المجلة على عنوانها ، وشدت على يدى دون أن تبتسم عيناها ، رغم أنهما يضمان عمق المحيطات ٠

***

● **وفى مقر الرسالة ايضا** حضر الشاعر عبد الوهاب البياتى ، وقد كان حضوره استجابة كريمة لدعوة وجهتها اليه فى الجمعية الادبية المصرية ، فقد حرصت حين علمت بوجوده بين كثيرين فى الجمعية على أن اذهب وأشد على يده ، قبل أن تحدثه نفسه بالحضور الى اما معاتبا أو مناقشا فيما سبق أن كتبت عنه ٠٠ وتعمق اعجابى به حين وقف ليتكلم فاذا به يحتضن العرب وحضارة العرب فى حبة قلبه ، ثم اذا به يتكلم عن الثقافة المعاصرة وعن الجمهورية العربية المتحدة بحيث خيل الى أنى لوكنت قريبا منه وحدقت فى عينيه لوجدت بلادى ـ وبلاده ـ فى الحدقتين !

وفى المجلة خيل الى انه يعيش على سفر دائما ، فكل شىء فيه كأنه يتحرك ويتشوق ويلوح بمنديل وبالرغم من الاهتمام المثار حول شعره ـ وشعره يستحق ٠

وبالرغم من الصليل الذى يرتفع أحيانا من خلال بعض مضامينه ،الا أن الجالس معه يحس أنه يجلس مع قطعة من الشمس الطيبة ، وكما أن الشمس تعطى كل مافى قلبها بسخاء ، فانه يعطى كل مافى قلبه بطريقة بسيطة تجعلك تتخيل أنه لم يقل شيئا ، ومن هنا تكون له هذه الخاصية التى تجعلك على غير معرفة به تمد يدك اليه قائلا « أهلا بالشاعر عبد الوهاب » ٠

ان على جبينه مسحة الرحيل ، وفى صوته العراق وفى عينه الطواف ، وفى حركاته التوفز الذى يجعله فى حالة شعر دائم ، وفى شخصيته ما يجعل الانسان لايتكلم معه الا فى الشعر ٠٠ ومن هنا بدأنا نتكلم ونشرب وندخن الشعر ، ولما كنت أعتقد أن اراءه فى الشعر ربما ستكون غريبة على بعض الناس فانى انقلها هنا بنفس الوميض الذى كان يتوهج منها !

فمن آرائه أن الحركة الشعرية الجديدة ليست منفصلة عن تراث الشعر العربى ، فهى « اضافة » وتطوير للشكل الكلاسيكى ، ومن هنا تكون المعركة بين القديم والجديد « مفتعلة » لانه لايوجد تناقض ابدا بين الجديد والقديم فى الفن والادب بشكل خاص ٠

فكما أن القصيدة العربية الكلاسيكية خاضعة لنوع من النظام منبثق منها ، فكذلك القصيدة الحديثة يجب أن تخضع لنظام منبثق منها كذلك ، وهذا النظام يجب الا يكون بعيدا عن نظام القصيدة الكلاسيكية ، والا كان التجديد نوعا من الحذلقة والضياع ، ولهذا يمكن الحكم على محاولات بعض الشعراء الجدد بانها شكلية وعقيمة وغير مؤدية الى غاية ، وفى الوقت نفسه غريبة عن روح الشعر العربى ٠

ذلك لانه لابد من التزام عدة أشياء ، ومن هذه الاشياء التي لابد من التزامها في القصيدة الحديثة ، القافية ، لانها تبعد عن النثرية ، ولانه بدونها لايمكن ضبط ايقاع القصيدة ، ومن باب أولى الوزن ، فالوزن لايمكن التخلي عنه الا في مرحلة اللاشعر · ثم انه عاتب على الشعراء لعدم التزامهم بالثقافة اللغوية ، لان من البدهيات ان الانسان لايمكن أن يفكر الا بواسطة اللغة ·

وفي الوقت الذي يذكر فيه أن الشكل الجديد يبيح اكتشافات جديدة ، ويكون اطوع اداة للمسرح وانه لايمكن التجويد فيه دون التجويد في «الشعر المتجدد» ·· لاينسى ان يذكر ان «الشكل المتجدد» لايزال صالحا ـ وسيظل ـ للتعبير عن كافة التجارب وان العيب لايوجد فيه وانما في الشاعر القاصر في اللغة والتجارب الانسانية ·

ويصمت عبد الوهاب فيصمت كل شيء حوله ، ثم يتكلم فتتحرك الاشياء ، ويكون مما يقوله بذكاء : ان بعض قصائده قيلت فيمناسبات بعيدة وأنهالاتمثله الآن ، وأن التأويل في الشعر قد يفسده ، ويتحدث عن ناظم حكمت ، وعن ديوانه الجديد ، وعن تفرغه للشعر ، وعن موقفه الحاسم من شعراء الرفض ·· ثم يذكر في عتاب يشبه الضوء الخافت ان موقفه ـ في زيارته الاخيرةللبنان ـ كان لا يحسد عليه لأن بعض الشعراء الذين هاجموا قلعة الرفض قد هاجموا بعض شعره ، ومن هنا يكون قد وقع بين مطرقة الاعداء ، وسندان الاصدقاء ·

وحين نحاول تلوين الحديث يأبى الشعر الا أن يلوى عنقينا اليه ، وحين نمد يدينا للوداع نحس أن هناك عالما آخر غير عالم الشعر ، وأجدني اهز يده ثم أعود الى هزها من جديد حين حدقت فيه ثانية ، فاذا على جبينه مسحة الرحيل ، وفي صوته العراق ، وفي عينيه الطواف ، وفي حركاته التوفز الذي يجعله في شعر دائم !

***

● وفي افتتاحية « **اخبار الثقافة** » بالبرنامج الثاني سمعنا الدكتور لويس عوض ، يتعرض للذين هاجموا دور بعض المنظمات الثقافية في العالم العربي ، ولايرضى الا عن ذلك النوع الذي كتبته الدكتورة بنت الشاطىء ·

ثم يدعو الى اعادة دراسة كل مايتصل بدور المنظمات والمؤسسات في عالمنا ، والتي تمول من الخارج ، دون أن يكون في هذا اهدار للفكر أو اغلاق للنوافذ ، بعد أن أصبحنا في غير حاجة الى وصاية ثقافية من الخارج ، وبعد أن أصبحنا نعرف مانحتاج اليه ، وبخاصة اذا عرفنا أن هذه المنظمات والمؤسسات تستند الى اتفاقيات ثقافية ، والى مبدأ «المعاملة بالمثل» ، وأننا لانستطيع تحقيق هذا المبدأ !

وهذا الكلام «الجميل» لايختلف أحد عليه ، ولكن الذي عليه الاختلاف حقا هو أن الدكتور كان من اول المستفيدين من هذه المنظمات ، ومنذ مايقرب من شهر الح عليه بعض الكتاب في عدم الكتابة لمجلة « حوار » التي تضع نفسها في خدمة الاستعمار والصهيونية والتي دمغتها بهذا عن طريق الوثائق مجلة الشعب ببيروت ·· ولكنه سخر منهم ودافع عن المجلة ، وهاهو اليوم يحمل لواء الهجوم ويتحرك في اتجاه الريح لاسباب جديدة يعرفها هو ويعرفها كل الذين كتبوا في هذه المجلة والذين أدركوا خطرها ، ولكنه يأبى الا أن يجعل من الانكسار انتصارا ، ويابى الا ان يوهم بأنه داخل الخط لاخارج الخط ، وانه يسبق حتى الذين أدانوا هذا التيار ، ورفضوا أمواله الغزيرة من أول الامر أو بعد مقال أو مقالين ·

***

● **بالرغم من أن البطل الحقيقي في فيلم «بولانتا»** كان الموسيقى ، وهذه الشاعرية المكتسبة أصلا من أوبرا بولانتا المأخوذ عنها الفيلم ·· الا أن المشاهد كان يستغرق تماما فيما يشبه الحلم مع الفتاة التي حرص والدها الملك « رينيه » ، ومن حوله على ان يخفوا عنها أنها عمياء ، وأن من حولها عالما كبيرا ومبهجا ، وأن العيون ليست لها وظيفة غير ارسال الدموع ·· وفي الوقت نفسه يرسل في طلبطبيب عربي وحين يتعرف الطبيب حقيقة المشكلة يؤكد أنها لن تشفى الا اذا عرفت الحقيقة ، وحين يثور الملك يطلعه على فترة من التفكير العربي فيذكر شيئا عن

العالم الجسدى ، والعالم الروحى ، ويقــول بما ترجمته « ان الله على كل شيء قدير »

ولكن شيئا يقع فجأة حين يراها أحد الفرسان فى غفلة ، وتطلع منه على الحقيقة حين يطلب منهــا وردة حمراء ، ويؤكد الملك انه سيقتل الفارس مالم تشف الفتاة ، ويجدها الطبيب العربى فرصــة لتحقيق علاجه وينجح ، ويدمن الانسان التحديق فى الوجه الذى يمثل شخصية الطبيب العربى ، فاذا به يذكر انه لا يعدو أن يكون غير رمز للعرب الذين فتحوا عينى أوربا على النور ثم استغرقوا لفترة فى النوم .

ولعل هذه الصورة الطيبة للانسان المسلم تذكرنا بتلك الصورة التى رسمها «اليــاكازان» فى فيلم « أمريكا أمريكا » ، والذى رأينا فيه المخرج بعد أن يقوم الاتراك بمجزرة للارمنيين ، ينقل الــكاميرا مباشرة من الدم الى المئذنة ، ثم يظل يتسلقها ببطء حتى يصل الى الهلال وكأنه يريد أن يقول ان الاسلام – لا الأتراك – هو القاتل !

لقد رأيت الجمهور يرتاح فى مقاعده فى الفيلم الاول ، ورأيته يتململ فى مقاعده فى الفيلم الثانى ، ولعله قد آن الاوان لان يكون لنا نوع من الافلام فى هذا المستوى نستطيع به أن نريح المشــاهد أو نشوش روحه ، دون أن نعتدى فى كلا الحالتين علـى الحقيقة .

***

● **القت كلمة الاستــاذ كامل الشــناوى** الضوء على كتاب فضــل العرب على أوربا تأليف الدكتورة « سيجريد هونكه » وترجمة الدكتور فؤاد حسنين على ، حينما قرأ عنه تلخيصــا فى مجلة الرسالة ، الى حد أنى حين طلبته من أحد البــاعة اعتذر وقال لى لقد بعت اليوم خمس نسخ منه وهى التى كانت عندى ، ثم نظر الى طويلا كأنه يريد منى أن أوضح له هذا السبب الذى أيقظ الكتاب فجــأة بعد نومه العميق ، وفجأة رأيتنى استحضر الطيبــة المصرية والشعر وعشق الحياة فى هذا الوجه الذى يغادر الآن مستشفى الكاتب ، ويعود الى صــبوة الحرف ، واخضرار الكلمة ، وتحويل كل احساس الى موسيقى وشعر .

وحين تفضل المؤلف باهدائى نسخة من هــذا الكتاب وجدت المؤلفة تقول فى المقدمة « .. وشاء الله أن يظهر من الاوربيين من يجرؤ وينــادى بهــذه الحقيقة فلا نغمط العرب حقهم قديما وحديثــا ، ان هذا النفر من الاوربيين المنصفين لا يأبه من تحــدى اولئك المتعصبين الذين اعماهم تعصــبهم الدينى فحاولوا جهد طاقاتهم طمس معالم هذه الحضــارة العربية أو التقليل من شأنها .

ان أوربا تدين للعرب وللحضارة العربية ، وان الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات الاخرى للعرب كبير جدا ، وكان يجب على أوربا ان تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد لكن التعصــب الدينى واختلاف العقائد أعمى عيوننا ، وترك عليها غشاوة حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتابا من مائة فلانجد فيها اشارة لفضل العرب وما أسدوه الينا من علم ومعرفة ، اللهم الا هذه الاشارة العابرة الى أن دور العرب لايتعدى دور ساعى البريد الذى نقل اليهم التراث اليونانى ، أما العربى فلم يأت بجديد ولم يحقق رسالة .

ان النهضة العلمية الحديثة كشفت الغطــاء عن حضارات الشرق القديم .. وأن هذا الشرق العربى القديم هو وطن الوحى ومبعث الفنون والعــلوم والآداب » .

***

هذا .. وسنعود للكتاب مرة أخرى ، وبقى الآن ماطالب به الاستاذ كامل الشناوى من قيــام الدار القومية باعادة طبعه وعرضه فى طبعــة تكون فى متناول الجميع ، ولعل ارق « باقة » نقدمها الى كامل الشناوى فى هذه الفترة أن نستجيب لما طلبه قلمه ، وما يطلبه القراء .

« **عبده بدوى** »

الكتب نقد وتعريف

يقدمه : محمد تحسين عبد الحى

الثورة الاشتراكية قضايا ومناقشات

ترتبط ثورة شعبنا الاشتراكية بكثير من العلامات المميزة التى تتفاوت كما ونوعا فى أهميتها من حيث ارتباطها بواقع حركة التقدم الثورى وفى جذورها الضاربة عبر كثير من الالتزامات الاقليمية والقومية والعالمية ٠

فعلى الرغم من أن تجربة شعبنا الاشتراكية قد قامت على انقاض مجتمع متخلف - ماديا ومعنويا - فانها بلاشك استطاعت أن تحقق المزيد من التجارب اللازمة كاساس لنظام اشتراكى ثابت الاركان - هو بالدرجة الاولى مقياس لما يمكن أن يتم فى داخل كثير من المجتمعات النامية ان لم تكن كلها ٠٠ التى تحررت أخيرا من الاستعمار ٠٠ وكذلك تتحمل تجربتنا الاشتراكية - مسئوليتها المباشرة أمام جماهير شعبنا العربى من المحيط الى الخليج ٠ ٠لان تجربتنا الاشتراكية فى داخل الجمهورية العربية المتحدة - أصبحت تشكل رمزا للعمل التقدمى الشجاع ٠٠ ونجاحها الذى يجب أن تحققه انما هو مقياس لمدى صحة وأهمية المبادىء التى نعتنقها - وسوف يكون لاية نكسة مهما كانت ضئيلة أثرها الواضح على مستقبل العمل التقدمى - ولسنين طويلة فى جميع أنحاء الوطن العربى ٠

ان ارتباطات تجربتنا الاقليمية من حيث مقدرتها على مواجهة خطط التنمية بما فى ذلك عمليات الانتاج والاستهلاك وتدعيم الحريات العامة وتنمية القدرات الذاتية - كل هذه الاشياء رغم اهميتها فانه لايقل عنها اهمية أن يؤمن منفذوها بأن كل تقدم على طول الجبهة الداخلية انما هو تدعيم لابد منه لجبهتنا القومية - فى طريقها الموصل الى الوحدة الشاملة ٠٠ اقول هذا الكلام وفى هذه الفترة بالذات لان بعض الاصوات الهامسة تريد أن تقلل من أهمية العمل الوحدوى - فى الوقت الذى تبرز فيه قضايا معينة وتدعو للاهتمام بها - نعرفها جميعا - وأدانها شعبنا

سابقا بشعوبيتها المتضائلة ـ أمام دعوتها العالمية .
وإذا كان يحلو للبعض أن يتخذ من التجربة الاولى

للوحدة بين مصر وسوريا .. نموذجا يقارن به وعليه .. فانه يجب انصافا للحقيقة أن نقارن نحن هنا بين شيئين :

أولهما : الاشتراكية كأسلوب مضمون للتنمية والتقدم الاقتصادى والاجتماعى ... فكرا ـ وواقعا عمليا .. وأقصد هنا بالواقع العملى أساليب وأدوات التنفيذ للفكر الاشتراكى ـ فهل يعنى قصور وجهل وتآمر بعض الافراد على أموال الشعب وتبديدها ـ كما نرى اليوم مثلا فى قضايا الجمعية التعاونية الاستهلاكية المثارة حاليا فى الصحف أن فكرة المؤسسة التعاونية الاستهلاكية مثلا خطأ فى خطأ .. ؟ بالطبع لا .. على الرغم من أن هذا القصور فى التنفيذ قد كلف المؤسسة كقطاع عام كثيرا من الخسائر المادية والمعنوية .. بحيث أصبحت تقترن فى أذهان البعض بالمحسوبية والطوابير الطويلة ـ والفساد .. الخ .

اذن .. فالتصرفات الفردية لاشخاص من مخلفات الماضى قد أضرت ضررا بالغا ـ ولو من الناحية النفسية .. بمبدأ جديد وتنظيم جديد نعتز به ونحاول أن ننميه .. !!

وثانيهما : ـ اننى أود هنا ـ ولو من قبيل التشبيه ـ أن أقول ..

ان تجربة الوحدة الاولى ـ كعقيدة ومبدأ تتشابه الى حد كبير مع وجود القطاع العام فى نظامنا الاشتراكى بمعنى .. ان الوحدة كجزء أساسى من الفكر القومى اشترك فى تنفيذها أناس لم يكونوا قد وصلوا بعد الى مستوى الفهم الواعى لها ولاهدافها .. فخرجت من هنا ـ وأقصد بذلك ـ الجمهورية العربية المتحدة نوعيات من الناس للعمل على تنفيذ الوحدة ولكنهم بسطحية وسذاجة كانوا يتصرفون تصرفات ذاتية لا أقول متآمرة بقدر ما أقول ساذجة أضرت بالقضية الأم .. ومن هنا وضعوا ـ الى جانب عوامل أخرى بذور الانفصال ـ فما ذنب الوحدة كفكرة وعقيدة وكضرورة حياتية بالنسبة لجماهير شعبنا .. ؟

ان الدروس المستفادة من تجربتنا الوحدوية السابقة يجب أن تراعى نتائجها الهامة والمفيدة فى وحدتنا المرتقبة مع شعبنا فى العراق .. لكى لاتتكرر مأساة التصرفات الفردية المتسمة بالغباء .. لتدين وحدتنا الشاملة ..

والمهم أن يتقدم العمل الوحدوى أولئك الذين يؤمنون بوحدة أمتهم قولا وعملا ـ بلا عقد سابقة وبلا أية رغبة فى العمل على تكوين أكبر قدر ممكن من المنافع الذاتية عندما يحين وقت العودة الى الموطن الاصلى .

وبعد هذه المقارنة البسيطة أود هنا أن أشير الى أنه قد أصبح ضروريا بل وهاما ان تؤمن القوى الاشتراكية العربية التى تضع نفسها فى أقصى اليسار باهمية انتمائها الى الحركة العربية الواحدة .. والتى يمكن لهذه القوى أن تكون جزءا مكملا لها .

ولنبدأ الآن مع كتاب اليوم ـ الثورة الاشتراكية قضايا ومناقشات ـ وهو من تأليف المفكر العربى أحمد بهاء الدين ـ والكتاب على الرغم من صغر حجمه فانه ـ كأى مؤلف يحمل وجهة نظر كاتبه ـ يتميز بالعمق والاصالة والاخلاص للمناقشة من أجل الوصول الى مزيد من التقدم الفكرى .. الذى نحتاجه جميعا . وأحمد بهاء الدين ـ فى رأيى ـ ليس أحد أولئك الذين يسودون يوميا عشرات الاعمدة فى الصحف فقط من أجل ملء الفراغات الناتجة عن فراغ العقول .. ولكنه مفكر رائد وأحد القلائل الذين يعتز بهم شعبهم .. وأمتهم العربية .

يقول الكتاب موضحا مرحلة الترجمة والاقتباس من التجارب الاجتماعية الاخرى .. التى تواجهها كل المجتمعات النامية ـ فيتحدث عن النظرية الماركسية فيقول :

« هناك من الناس من يأخذونها وكأنها دين منزل من السماء ، تأخذه كله أو تتركه كله ، ويجب بالطبع أن تأخذه كله ، وهم يريدون تطبيقها على بلادنا كما حدث أن طبقت فى هذا البلد أو ذاك ، وهذه أيضا ترجمة جامدة حمقاء ، والذين ينادون بها هم ضحايا نفس المراهقة السياسية والكسل العقلى والتبعية النفسية ، انهم ينعزلون عن الواقع . لان ايمانهم الجامد بالنصوص جعلهم يصرفون جهدهم الى محاولة ارغام الواقع ـ فى مخيلتهم طبعا ـ على أن يناسب النظرية المجردة .. بدلا من أن يعملوا على تطوير النظرية المجردة بما يناسب الواقع .

وفى الطرف المقابل لهؤلاء ، تجد أناسا اذا ذكرت الماركسية امامهم أزاحوها كلها جانبا ، دون

أن يجدوا الشجاعة على درسها وهضمها وأخذ ماتبثت صحته منها ، وهذا أيضا خطأ آخر فاحش ، لان من يصنع هذا انما يعزل نفسه عزلا عميقا عن أفكار اساسية أضيفت الى التراث العالمي وأصبحت جزءا منه ، بما فيه من صواب وخطأ ٠٠

لا بد اذن أن نجتاز مرحلة الترجمة الى مرحلة التأليف ٠٠ ونجتازها في الوقت المناسب ٠٠ ولابد أن نضيف الى « العلم » الذى قرأناه ٠٠ «الواقع» الذى نحياه ! خصوصا فيما يتعلق بالنظم السياسية والاجتماعية ٠ ان النظم السياسية والاجتماعية مادتها الاولى هي الانسان ، والانسان معدن خاص يختلف عن معادن الحديد والنحاس وغيرهما ! ان الحديد مثلا يمكن اذابته وطرقه وثنيه بطرق واحدة وبدرجات حرارة واحدة في أى مكان من العالم ٠ لان الحديد هو الحديد في أى زمان ومكان ، أما الانسان فهو معدن آخر ٠ وخصائص الانسان الاساسية وغرائزه وحاجاته واحدة في كل مكان ٠٠ ولكن هذه الخصائص الاساسية يدخل عليها كثير جدا من عوامل البيئة والتراث والظروف والثقافة ومستوى الحياة والموقع الجغرافي والمرحلة التاريخية التى يمر بها ٠

هذه الحقيقة تقتضى منا أن ننظر الى تجارب الآخرين ، وعيوننا على بلادنا ٠ ٠وعلى ظروفنا الخاصة بنا ٠

لقد آن لنا أن نجتاز مرحلة المراهقة السياسية في حياتنا ، لقد اجتازت بلادنا معارك صعبة أنضجت وعيها وأرهفت حسها ٠ وأحرزت انتصارات دعمت ثقتها بنفسها ٠٠ ونحن في هذه المرحلة يجب الا نتعالى على الترجمة والاستفادة من كل التجارب الانسانية ٠٠ ما دمنا لا نفتقد القدرة ولا الشجاعة على الاضافة والتجاوب مع ظروفنا الحقيقية ٠

ان هذا هو التفسير لقول جمال عبد الناصر « اننا لم ننهمك في النظريات بحثا عن حياتنا ، انما انهمكنا في حياتنا بحثا عن النظريات ٠٠ فلم نترك اية عقائد تفترض وجودها على غير واقع ٠٠ توجه سير أحداثنا وتصنع تاريخنا ، وفي مجال دور الخبراء في تطور المجتمعات يستشهد المؤلف بقول المفكر توماس مولنار الذى يقول فيه :ـ

« هناك فرق أساسى بين ارستقراطية الاغنياء القديمة وارستقراطية الخبراء الحديثة ٠٠ الارستقراطية الاولى كان الناس يعتبرونها نوعا من الحق الطبيعى ـ او الحق الالهى ـ لقد ولد الاغنياء أغنياء ولا اعتراض على ذلك أما الارستقراطية الثانية ـ ارستقراطية الخبير ـ فالناس لا يعترفون بها الا بقدر مايقتنعون بأنها تفيدهم ، وبأنها في خدمتهم» ،

ويقول المؤلف :

« ان الخبير أو المسئول يحظى بامتيازات كثيرة بالنسبة الى مستوى الحياة في بلادنا ـ والخطر هو أن يظن أبناء هذه الفئة أن هذه الامتيازات مقصودة لذاتها ٠ ان هذه الامتيازات ممنوحة لهم نظير خدمات يؤدونها للفلاح الغارق الى نصفه في الترعة ، يسحب مركبا شراعيا لا تحركه الريح !

وهذا الاحساس لا يمكن أن يوجد الا اذا اقترنت الخبرة والثقافة بالوعى الاجتماعى السليم ، أى بالوعى الاشتراكي السليم ٠٠ والطقس الاشتراكى السليم » ٠

وقد قال المفكر الاشتراكى الفرنسى «بول لافارج» منذ ستين عاما :

« ان الثقافة من طبيعتها أن تجعل المثقف أكثر احساسا بالقضايا الاجتماعية ٠ ولكن هذه الثقافة ذاتها كثيرا ما تكون هى العقبة التى تحول بين المثقفين وبين الوعى الاجتماعى ٠ انهم يظنون أن تعليمهم يجب أن يسبغ عليهم مزايا اجتماعية كبيرة، وأن ثقافة الواحد منهم أو مهارته كافية لان تجعله يشق طريقه في هذا العالم بمفرده لانه اقدر على أن يزاحم الآخرين ويقف بمفرده على أكتافهم »

وليست هذه الصورة هى التى نريدها للخبير أو المثقف أو خريج الجامعة ـ وليست هى الصورة التى نريدها للموظف او الادارى أو أى رجل يتولى مركزا في الادارة والانتاج ٠٠

ويتحدث المؤلف عن المجتمع الاشتراكي ـ كعمل تنظيمى ، فيقول :

« ان النظام الذى تريد الثورة أن تقيمه هو النظام الاشتراكي والهدف هو ايجاد مجتمع اشتراكي ، قادر بقواه الذاتية ، على أن يحمى نفسه من جهة وعلى أن يتطور تطورا مستمرا من جهة أخرى ، فلا يعتمد وجوده واستمراره على وجود قيادة تاريخية لا تتكرر ٠٠ أو على اجراءات استثنائية ، أو على جهاز ادارى فيه يتلقى أوامر معينة فيطيعها ٠ انما يعتمد وجوده ـ أى المجتمع الاشتراكى ـ على أن الاجهزة المؤثرة فيه عضويا وطبيعيا ـ من نفس نسيج الاشتراكية ٠

تحسين عبد الحى

شمس النهار



لتوفيق الحكيم

بقلم : علي متولي صلاح

ماهى اهداف تلك المسرحية الجديدة التى الفها توفيق الحكيم وافتتح بها مسرحنا القومى موسمه الحالى حيث التقطهـا مسرعا من الصحف قبل أن تطبع فى كتاب ؟

اننا لن نستطيع أن نجلو هذه الأهداف الا اذا عرفنا شيئا عن هذه المسرحية ٠٠٠

وهى تتلخص فى أن السلطان « **نعمان** » جلس يوما الى وزيره يساله الرأى فى أمر ابنته « **شمس النهار** » التى أورثته حيرة كبيرة بموقفها الفذ العجيب من الزواج ! ٠٠ فهى تشترط أن يكون لها وحدها حق اختيار زوجها ، وترى الطريقة الوحيدة لهذا الاختيار أن يمر الناس كلهم تحت شباكها وهى تختار من بينهم من تراه زوجا لها دون تمييز !

وكانت « **شمس النهار** » هذه فتاة عجيبة فريدة فى نوعها ، برعت فى ركوب الخيل واللعب بالسيف وقراءة الكتب واطالة التأمل والزهد فى كل مايعجب الناس ويبهرهم ٠٠٠ ولقد تزوجت أختاها من قبل

كما تتزوج بنات الملوك ... تزوجنا من خيرة الأمراء واغنى السلاطين ..

جلس السلطان يستشير وزيره في هذا الأمر الذي يبلبل خاطره فاشار الوزير بقبول ما اشترطته « **شمس النهار** » مع تعديل بسيط فيه وهو اجراء فرز مبدئي للأشخاص قبل عرضهم عليها لاستبعاد من ليس جديرا بها ، وعسى أن يستطيعوا التحايل فيدسوا بعض الأمراء ، بل أن يحصروا الاختيار فيهم دون أن تشعر هي بذلك !

ويعرض عليها هذا الاقتراح فتاباه وترفضه رفضا قاطعا لأنها ترى فيه اهدارا لشرطها ومسخا لفكرتها ! ولكنها تجرى في شرطها هذا تعديلا يسيرا وهو أن الذين يفشلون في الاختبار الذي ستجريه بنفسها لهم يكون عقابه الجلد ثلاث جلدات !

ويرتاح أبوها ووزيره لهذا التعديل لأنه سيبعد الكثيرين عن أن يتقدموا اليها خشية هذا العقاب .

وينطلق المنادى في أرجاء البلد يعلن ذلك الى الناس فيتقدم اليها ـ رغم هذا التعديل القاسي ـ عدد كبير من الراغبين في زواجها ولكنهم يفشلون جميعا ، حتى أخذ الناس يتهامسون بأن الأميرة « **شمس النهار** » لا تنوى حقا الزواج وانما هي تريد العبث بالرجال وجلدهم !

وفيما هي جالسة يوما مع أبيها ووزيره اذ دخل عليهم أحد أولئك الخاطبين يعلن اليهم أنه جاء من بلاد بعيدة ساعيا الى المطلب الأسمى وهو يد الأميرة « **شمس النهار** » ، فتساله أن يخبرها عما هو صانع بها اذا صارت زوجة له ؟

فيجيبها قائلا « ساجعلك سعيدة ... سالبى لك كل طلب ولو كان ماتطلبين في كبد طير الرخ لاقتنصته لك .. وساعبدك .. وساشيد لك قصرا على سبعة أعمدة من المرجان في جزيرة واق الواق ! »

وتساله عما سيعمل في يومها فيجيبها قائلا « تأمرين ونحن نطيع ... وتطلبين ونحن نلبى .. ان ذهبي كثير وسيفرش تحت قدميك وساجعل السعادة كالوسادة تحت رأسك والنعيم يهف عليك كمروحة من ريش النعام » .

ويسر أبوها ووزيره لهذا النعيم الذي ينتظرها مع هذا الرجل ويسألونها عما قررته فيكون قرارها : **اجلدوه !**

ويطلب اليها أبوها أن تراجع نفسها في هذا القرار قليلا ولكنها تصر على رأيها ولا تقبل أي رجوع فيه .

ثم يجيء خاطب ثان ويعلن « انه جاء مادا يديه بالدعاء الى أبيها سائلا أن يعطيه يد الشمس من كبد السماء ؟ »

فيجيبه أبوها بانه ليس له من الأمر شيء وانما الأمر كله بيد الأميرة ، وتساله الأميرة ـ كما سالت سابقه ـ عما هو صانع بها بعد أن تكون زوجة له ؟ فيجيبها بانه « سيضعها في عينه ويحميها بالرموش » فلا ترتاح لهذا الكلام وتطلب أن يجيبها اجابة محددة عما ستكون عليه حياتها معه ؟

فيجيبها بقوله « الحب ... سعادة الحب ... في عش جميل مريح .. لا هو بالباذخ ولا هو بالصغير .. لدينا ما يكفينا لرغد العيش وأكثر .. حقل واسع وحديقة غناء وجداول ماء .. وبعض الخدم من حولك موكلون بخدمتك وراحتك ، وستنجبين منى الشاطر حسن .. شعرة منه فضة وشعرة ذهب ، وست الحسن والجمال اذا ضحكت طلعت الشمس واذا بكت هطل المطر » .

فيفرح أبوها فرحا كبيرا لهذه النعم الكبيرة التي ستغرق فيها ابنته ولكنها تسرع فتقول : **اجلدوه** .

ولا يلبث أن يجيء خاطب ثالث يعتقد أبوها ووزيره أنه لا شك مجنون حيث يلقى بيده الى التهلكة بعد أن علم ما علم من أمر سابقيه ! ..

ويدخل الرجل متسائلا : أين تلك التي تسمى شمس النهار ؟

فتدله شمس النهار على نفسها ، فيعجب لأنه كان يتصورها شيئا غير ذلك ! ويسالها عما يريدونه منه ؟ فتعجب هي الأخرى وتساله وهل نحن دعوناك يا رجل حتى تسالنا هذا السؤال ؟ فيكون جوابه : نعم أنتم الذين دعوتمونا واطلقتم المنادى يدعو الناس جميعا بدون تمييز ، فجئت استخدم حقي ! وما تأخرت عن استخدام حقي حتى الآن الا لأني كنت أجمع ثمن هذا الرداء المناسب الذي ارتديه ! ويخبرها أن اسمه « **قمر الزمان** » ويطلب اليها أن تخاطبه دائما بهذا الاسم .

وتساله سؤالها التقليدي : ماذا أنت صانع بي اذا صرت زوجة لك ؟

فيجيبها بأنه لن يصنع بها شيئا ولكنها هى التى ستصنع بنفسها ولنفسها !

ويسألها عما تحسنه من اعمال تفصيل الثياب ورتق الخروق وازالة البقع وخصف النعال ونشر الغسيل وعجن العجين وخبز الرغيف وغرف الغريف وتربية الدجاج ومسح الزجاج وكنس الغبار وتخليل الخيار وما الى ذلك من مختلف الأعمال .. ويخبرها أنه هو لا يحسن عمل اى شىء ، وأنه لا يعدو أن يكون حفنة من تراب سيضعها فى يد صانع جيد !

فيضيق أبوها ووزيره بهذا الرجل ويطلبان اليها أن تعجل بقرارها المعهود وهو الجلد ولكنها تجيبهم بأن قرارها هو « الزواج » وبأنها ستمضى معه بعد أن تتجرد من كل حليهـا وملابسـها وتلبس ملابس جندى بسيط حتى اذا ضربت فى الأرض الى جانبه لم يكن هناك مجال للظنون والشـبهات ، وينفض أبوها يده من أمرها لما رآه من تصميمها وعدم جدوى اية محاولة معها .

وتمضى شمس النهار مع قمر الزمان يضربان فى الصحارى وتتعلم كيف تصيد السمك وكيف تشويه وكيف تنسق المائدة .. وكيف .. وكيف مما لم يكن لها به عهد وتجد فى كل ماتعمل وما تصنع بيديها لذة لم تكن تراها من قبل فيما يقدم اليهـا دون أن تعلم من أمره شيئا ..

وفيما هما سائران يوما اذ بصرا برجلين يحملان صرة من المال وعلما من أمر الرجلين انهما ملاحظ خزانة الأمير ومسـاعده ، وأن هـذا المال مسروق بطريقـة ما من طرق السرقة التى كانت متفشية وقتئذ ، ويحتمان عليهما أن يذهبا بالمال المسروق الى الأمير نادمين مستغفرين وسيغفر لهما الله والأمير هذه الزلة ويستريح ضميراهما منها !

ويمضى الجميع فعـلا الى الأمير الا أن الملاحـظ وتابعه يهربان .. وتستمر شمس النهـار وقمر الزمان حتى يصـلا الى الأمير ويسلماه تلك الصرة ويحضر - فجأة - كل من الملاحظ وتابعه من تلقاء أنفسهما معترفين بما ارتكبـا من اثم فيعفو عنهما الأمير .

ويتصل الحديث بين الأمـير - واسـمه الأمير حمدان - وشمس النهـار التى ترتدى ملابس جندى ويسألها عما تعلم من أمر شمس النهار !

فتخبره أن شمس النهـار مطلبها عسير ، وأن طالبها لابد أن يتحمل فى سبيل الوصول اليهـا متاعب لاتحصى ، فيبدى استعداده لتحمل هـذه المتاعب لأنها كانت الحلم الذى مازال يصبو الى تحقيقه! ويتغير كل شىء فى حياته وتتبدل الراحة والاسترخاء الى كد وعناء حتى يصير رجلا آخر غير الذى كان !

ويحسب **قمر الزمان** أن شمس النهار مالت عنه الى هذا الأمير ولكنها تترك الأمير لمهمة تراها أكبر واجل وهى انه - وقد صيرته شيئا آخر - يستطيع أن يخدم بلده بما لم يكن يستطيعه بالأمس ، وتعود الى **قمر الزمان** تطلب اليه الزواج الذى تواعدا عليه ولكنه هو يتركها لمهمة يراها أكبر واجل وهى أنها - وقد صيرها شيئا اخر - تستطيع أن تخدم بلدها بما لم تكن تستطيعه بالأمس ويفترقان كل فى طريق غير طريق صاحبه !

ذلك هو ملخص المسرحيـة ونحن نلاحظ أنهـا تصوير فنى لما هو قائم متعارف بيننا الآن من تقديس العمل واعتباره الشرف كل الشرف وازدراء التعطل والبطـالة والفراغ والترف والأكل بمـلاعق من الذهب ! ... هى تصوير فنى لهذا المعنى ولكنه - شأن الفن الأصيل - تصـوير غير مباشر خال من الوعظ السافر ومن خطب المنابر ، مما يجعل تسربه الى النفوس أبعد وأعمق ..

ونلاحظ أنها تكاد تكون امتدادا لمسرحيـة سابقة لنفس المؤلف وهى مسرحية « **الأيدى الناعمة** » !

ونلاحظ أنه متطور فى بعض مواقفها الى اسطورة بجماليون التى توضح مدى حب الخالق لمخلوقه اى حب المثال « بجماليون » لتمثاله « جالاتيـا » ... وهو فى مسرحية اليوم حب الصانع لمصنوعه أى حب « قمر الزمان » لشمس النهار التى حولها الى انسان جديد من صنع يديه !

ونلاحظ أن الفصل الثانى منها كان رتيبا مملا لا حركة فيه ولا حيـاة بحيث كان الأوفق أن يكون مشهدا من فصل لا فصلا كاملا .

ونلاحظ أن المسرحية كانت مليئة بالحكم البالغة - على الطريقة الشكسبيرية - من أمثال : -

العمل الأعظم لا يقوم به الا الانسـان الأعظم ،

الانســـان الكامل هو الذى يصـنع العمل الكامل ، مانصنعه بايدينا هو جزء من حياتنا يتكشف لنا ، الزيادة معنـــاها الاسراف ٠٠ التبــديد ٠٠ تبديد المتعة ٠٠ تبديد الطاقة ٠٠ تبديد جزء من انسانيتنا ، الانسان الكامل ككل شيء كامل لا يحتمل الزيادة ولا النقص ، ليس من السهل على كل الناس كبح جماح رغباتهم المفرطة ٠٠ وغير ذلك مما لا يمكن أن نتقصاه هنا ، وهى مواعظ لا نرى موجبا لها الا الفقر فى الحوادث والرغبة فى ملء الفراغ !

ونلاحظ أن تحولا كبيرا طرأ ـ بدون داع ـ على شخصية قمر الزمان فهو فى أول المسرحية مثـــال للرجل الجاد القادر العنيف الذى لا يخضعه شيء أو عرض من أعراض الحياة ٠٠ ثم هو فى آخرها خائر جبان تملؤه الغيرة والغباء وعدم فهم الموقف الذى هو فيه !

ونلاحظ أن المؤلف استعمل فى لغته غلطة مشهورة فجعل « الباقة » محل « الطاقة » حيث يقول « هذه الزهرة مكررة ووجودها فى الباقة يفسد التناسق » والصواب أن يقول « فى الطاقة » لأن « الباقة » الحزمة من البقل ! وأما « الطاقة فللريحان ! ٠٠٠

ونلاحظ أن نهاية المسرحية التى كتبها المؤلف وهى الفراق بين شمس النهار وقمر الزمان تختلف ـ أو على الأصح تناقض ـ عن النهاية التى انتهى اليها المخرج وهى زواجهما ٠٠٠ ونحن نرى ما رآه المخرج لأن الهدف الذى ارتآه المؤلف من الافتراق وهو ترك شمس النهار لتقوم بخدمة بلدها ٠٠ هذا الهدف كان يمكن تحقيقه مع الزواج ولا تعارض بين الزواج وبين القيــام به فرق أن الزواج هنـــا كان هو النتيجة الطبيعية ولم تجد فى الحوادث مايحول دونه ٠

ولقد أخرج المسرحية مخرج ذو قدم راسخة هو الأستاذ فتوح نشاطى فصـــورها خير تصوير وعبر عن معانيها خير تعبير وبذل فيها جهدا مشكورا ٠ الا أننا نلاحظ أن جعل المنادى يطلق نداءه والستارة مسدلة وشخصه غير منظور يجعل نداءه هذا بمعزل عن التمثيل كأنه نداء موجه من ادارة المسرح مثلا الى جمهور النظارة ! وماذا كان يمنع أن نرى المنادى على خشبة المسرح حتى نحس أنه داخل اطار المسرحية وأنه جزء منها ؟؟

كما نلاحظ أن الممثلين كانوا يهدرون اللغة اهدارا جعلنا نتخيل أنه عن عمد وسبق اصرار ، ولم يسلم واحد منهم من ذلك ، كأنما تتضاعف أجورهم كلما تضاعفت أخطاؤهم اللغوية !

ونلاحظ أن الوضع الذى كان عليه « قمر الزمان » وهو نائم بجانب الشجرة كان وضعا غير كريم وغير لائق فقد كان حذاؤه فى وجوه النظارة ، وكان من السهل أن يتفادى ذلك لو جعل ظهره الى الشجرة ووجهه الى الجمهور ٠

ونلاحظ أن الموسيقى المصاحبة لم يكن لهـا أى تأثير أو مشاركة فى الحـوادث بل كانت فى واد وحوادث المسرحية فى واد آخر !

ونرجو أن يعلم المسئولون عن هذه الموسيقى أنها هنا ليست للترفيه أو الزينة وانما هى للاشتراك الفعـــال فى الحـوادث الجـارية ولزيادة التأثير والايضاح ٠

ولم تكن الاضـــاءة كذلك على شيء من التوفيق ، فقـــد كانت غير متفقـــة مع الزمن وغير متفقـــة مع الانفعالات القائمة ولم تكن تتدرج مع تدرج المشاعر واختلافها وكأنها كانت لتبديد الظلام فقط !

ولقد قام فؤاد شفيق بدور السلطان نعمان فأداه أداء لا بأس به وان كان يعوزه شيء من التركيز وعدم الاسراف والاقلال من الحركات الطائشة التى لاجدوى منها ٠

وقام ابراهيم الشامى بدور الوزير فكان لا لون له ولا طعم ولا رائحة وكان وجوده على المسرح أو عدم وجوده سواء !

وقامت السيدة سناء جميل بدور شمس النهار فبذلت طاقة كبيرة مشكورة وكانت على درجة حسنة من الثبات وقوة التعبير ولكن ســـلامة اللغة خانتها فى عدة مواقف ٠

وقام محمـد الدفراوى بدور قمـــر الزمان فكان ـ كالمعهـــد به ـ طاقة لا تنفد ، وتعبيرا لا ينحرف ، وثباتا لا يميل ٠

وقام سامى طوموم بدور « الرجل الأول » ولا أدرى لماذا صوره المخرج بهذه الصورة الهزلية ذات الجسد المتحرك ، وفى هـــذا انحراف ينحـــرف به معنى المسرحية ؟

وقام عاطف طمــوم بدور خــــازن بيت المال وعبد المنعم امام بدور حارس بيت المال ، فكان الأول يتحرك دون أن يؤدى أى معنى ، وكان الثانى كثير الحركة جدا كثير الافتعال جدا يريد أن يشد الناس اليه بالقوة القاهرة مما جعلهم ينصرفون وينأون بجانبهم عنه !

على متولى صلاح

حقول البترول التي امكن استغلالها في الجمهورية العربية المتحدة

بقلم : نبيل عطية الابراشي

في سنة ١٩٥٤ كان في مصر خمسة حقول للبترول ، وقد انتجت في تلك السنة المقادير الآتية ، وهي :

١ ـ في الغردقة ٣٧٫٩٠٠ طن ·

٢ ـ في راس غارب ١٫٣٦٦٫٧٠٠ طن ·

٣ ـ في سدر ٣١٤٫٠٠٠ طن ·

٤ ـ في عسل ٢٥١٫٦٠٠ طن ·

٥ ـ في راس المطارمة ١٦٫١٠٠ طن ·

فمجموع ما انتجته حقول البترول في الجمهورية العربية المتحدة هو : ١٫٩٨٦٫٣٠٠ طن من البترول · ولما كان هذا المقدار لا يكفي ما نحتاج اليه في استهلاكنا اضطررنا الى ان نستورد في تلك السنة (١٩٥٤) : ٢٢٩٫٠٠٠ طن ، فكان مجموع ما استهلكناه : ٢٫٢١٥٫٣٠٠ طن · وسياتي اليوم الذي تنتج فيه مصر ما تحتاج اليه من البترول ، وما تصدره منه الى الخارج· ومما تقدم نرى ان اعظم حقل للبترول في مصر في الوقت الحاضر هو في راس غارب ·

وفي ابريل سنة ١٩٥٨ حفرت بئر جديدة للبترول براس بكر· وقد تبين بعد الفحص عن العينات التي عثر عليها ان التربة مملوءة بالبترول في تلك المنطقة · وقد وصلت عمليات الحفر الاولى الى عمق ٢٥٩٧ قدما · وما زالت عملية الحفر مستمرة · وكل الشواهد تدل على وجود مقادير كبيرة من البترول في هذه المنطقة ·

وفي ١٥ من اغسطس سنة ١٩٥٩ اعلن الدكتور عزيز صدقي نائب رئيس الوزراء في مؤتمر صحفي : «انه تم كشف حقل جديد للبترول في شبه جزيرة سيناء ، في منطقة «سدرة» في الجنوب الشرقي من ابي روديس · وقد بلغ انتاج البئر الاولى حتى الآن ٧٠٠ طن في اليوم ، اى ٢١٠ آلاف طن في العام وينتظر أن يصل الانتاج السنوي من هذه البئر الى ٢٦٠ الف طن» ·

وقال : «ان النتائج المبدئية تدل على أن هذا الحقل هو اكبر حقل كشف في الجمهورية العربية المتحدة · وانه بظهور هذا الحقل ـ بالاضافة الى الآبار التي كشفت في حقول كريم وبكر، وما سبق كشفه في منطقة ابي روديس ـ اصبح من المتوقع ان يصل انتاجنا من البترول الى مرحلة الاكتفاء الذاتي ، وهي تبلغ حوالى اربعة ملايين طن في السنة ·

ولاستمرار عمليات الحفر في الحقول وانتاج البترول من الآبار الجديدة سنصل باذن الله الى مرحلة الدول المصدرة للبترول ·· وان الاكتشافات المتكررة في الحقول الجديدة تدل على الامكانيات الضخمة لثروة البلاد البترولية ، التي نرجو ان تحقق باذن الله للبلاد خيرا عميما · وقد وضعت الهيئة العامة للبترول برنامجا للتوسع السريع في الحفر والتنقيب عن البترول في جميع مناطق الجمهورية ·

وقد ظهر البترول في الحقل الجديد بسدرة في شبه جزيرة سيناء ·

. لقد اصبح في الجمهورية العربية المتحدة ١٢ حقلا كبيرا يتفجر منها البترول الآن بعد كشف حقل سدرة . . وهذه الحقول هي : فيران ـ بلاعيم ـ ابو روديس ـ عسل ـ راس المطارمة ـ راس غارب ـ راس جمسة ـ الغردقة ـ بكر ـ كريم ـ سدرة ـ سدر .

وفي الوقت نفسه تتول شركات البترول البحث والتنقيب في ٦٠ منطقة اخرى على شواطىء البحر الاحمر . ويتوقع خبراء البترول في الجمهورية العربية المتحدة ان يتفجر البترول قريبا من حقل رحمى الواقع على الضفة الغربية ، الذى يواجه حقل سدرة الواقع على الضفة الشرقية في سيناء ، طبقا لنظـــرية « انعكاس المرآة » الشائعة في دنيا البترول . .

وكل ماسيكشف في المستقبل سيصدر الى الخارج . والعمل جار على قدم وساق لكشف آبار جديدة . وقد وصل عدد كبير من الحفارات ، وسيصل عدد آخر قريبا . ويدل البحث على ان ارض الجمهورية العربية المتحدة تضم في باطنها ثروة ضخمة من البترول .

مناطق البحث والتنقيب عن البترول في خليج السويس الآن

ان على جانبي خليج السويس ٨٢ منطقة يدور البحث والتنقيب فيها عن البترول . وقد رصد مبلغ ٤٠ مليون جنيه في ميزانية ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ لتصنيع البترول وانتاج مواد اساسية لصناعات اخرى ، كبعض الأدوية ، والمبيدات الحشرية ، والاصباغ واللدائن وتصنيع غازات الحقـــول ، وانشاء خطوط الانابيب ، واقامة المستودعات ، وشراء الناقلات ، وانتاج الزيوت المعدنية .

وان البحث في طبقات الارض يدل على ان مناطق البحـــر الاحمر مستودع كبير للبترول . ان البئر التي تفجر منهـــا البترول في ١٥ من اغسطس سنة ١٩٥٩ لم تكن (بئر سدرة رقم ١) ولكنها كانت (سدرة رقم ٤) . وقد وصل الحفر فيها لعمق ٨٠٠٠ قدم .

ولقد وصل انتاج البترول الخام في بلادنا في عام ١٩٦١ـ ١٩٦٢ الى خمسة ملايين من الأطنان . وان هذه الآبار والحقول كلها مملوكة للشعب ، فهي تابعة للشركة العامة للبترول ، وهي احدى الشركات التي تعمل لحساب الدولة مباشرة .

وان السر في عدم الزحف العاجل الى المناطق التي يحتمل وجود البترول فيها هو قلة الأيدي الفنية العاملة . وقد تغلبنا على الصعوبة في قلة الخبراء ، فاصبح لدينا آلافا مجموعة من الخبراء ، وبدأنا في اعداد جيل من العمال الماهرين في الحفر والتنقيب ، وهم الحفارون بالفاس والمعطف ، والممهدون للآبار ، والدفاقون ، والذين يعتلون الأبراج ويديرون المثاقيب الجبارة لتنخر الارض القوية الصلبة ، فتحيلها الى عيون يتفجر فيها البترول . وقريبا جدا سيكون الحفارون والدفاقون جميعهم من العرب انفسهم .

وتعد بئر البترول في وادى سدرة رقم ٤ اضخم بئر في الجمهورية العربية المتحدة .

وليس الحفر بعملية سهلة ، ولكنه يحتاج الى دقة ومهارة وصبر من الحفارين والمهندسين والعلماء . وفي اثناء الحفر تمر لحظات من الخوف ، فبعد كل ٥٠٠ قدم تغلف جوانب البئر بمواسير من الحديد ، وتضيق الفتحة ، فقد تكون منطقة الغازات المحبوسة قريبة ، فتنفجر الطفلة ، وتضاف لها مادة (الباريت والهيماتيت) ، كى تثقل وتزيد كثافتها . ويعمل حســاب لكل شيء ، لان زيادة الكمية التي تضاف قد تؤدى الى تشقق جوانب البئر فتنهار ، ويضيع المجهود .

وقوة البريمة في الحفارة ١٢٥٠ حصانا . ويستمر الحفر ليلا ونهارا . ويتغير العمال كل ٨ ساعات .

وهناك في باطن الارض التي بها البترول غازات محبوسة مضغوطة تحت الارض ، منذ آلاف السنين ، وهي تنتظر فتحة لتندفع منها ، او نقبا لتتدفق منه .

والبترول مصدر من مصادر قوتنا ، ويعتبر عصب الحضارة المادية ، والذى بدونه تستحيل كل ادواتها وهي المصانع الهائلة الكبيرة لكافة انواع الانتاج ووسائل المواصلات في البر والبحر واسلحة الحرب سواء في ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب، أو الغواصة المستترة تحت اطباق الموج ـ تستحيل كلها قطعا من الحديد يعلوها الصدا ولا تنبعث منها حركة ... أو حياة .

البترول والبلاد العربية

ان عاصمة انتاج البترول في العالم قد انتقلت من الولايات المتحدة التي استنزفت آبارها ، وارتفع سعر الارض فيهـــا ، وزادت اجور الأيدي العاملة لأبنائها ، الى المنطقة العربية التي ما زالت آبارها بكرا ، والتي ما زالت أراضيها الشاسعة بلا ثمن ، والتي ما زالت يدها العاملة تقبل ما دون الكفاف .

ولقد ثبت ان نصف الاحتياطي المحقق من البترول في العالم يرقد تحت ارض المنطقة العربية . والنصف الباقي موزع بين الولايات المتحدة وروسيا ومنطقة الكاريبي وغيرها من بلاد العالم.

وهكذا تزداد ملامح قوتنــا الصناعية والاقتصـــادية بروزا ووضوحا ، وتكشف ارضنا لأبنائها وحماتها ، عن مصادر القوة والمنعة ، وتمنحنا سلاح الحياة وعصب الصناعة ، ومظهر السيادة والعزة .

نبيلة محمد عطية الابراشي

قراءات فى المجلات العربية



يقدمه : محمد العوانى

دور العرب فى ثقافة الغرب

مما لا شك فيه أن بغـداد استطاعت أن تحمل مشعل الحضــارة العربية ابان عهدى الرشيد والمأمون ، وأن تلعب دورا خطيرا فى زعامة النهضة الفكرية التى شملت كل أنواع الفكر والثقافة ، بما ازدهر فيها من العلوم الدينية والفلسفية وبما نشط فيها من حركة التاليف والتصنيف والترجمة ، وعن طريق هذه الترجمـة انتقلت علوم الأمم القديمة الى العرب فحافظوا عليهـا بحالها أو أضافوا اليها من عندهم بعض الزيادات . ونقل العرب بدورهم العلوم والمعارف القديمة ومنها الاسلامية البحتة الى أواسط وغربى أوربا عن طريق الأندلس وصقلية والشام ، ومن هنا فان نهضة أوربا الحديثة قد عبرت اليها من هذه البلاد ابان العصور الوسطى ، عصور الجهالة والضلال .

وقد نشرت مجلة « الأديب » مقالا بعنوان « أثر العرب فى ثقافة الغرب » كتبه « عدنان رضا » بين فيه أن الرشـيد أنشأ فى بغداد « بيت الحكمة » لترجمة ما عثر عليه من تراث الأمم السابقة كاليونان والفرس والهنود ، وقد تولى رئاسة بيت الحكمة كثير من المترجمين الذين يرجع الفضل اليهم فى ترجمة عدد كبير من الكتب ككتب جالينوس وبقراط فى الطب وكتب ارسطو فى المنطق والفلسفة والنفس .

ويدحض الباحث مزاعم الذين يدعون أن العرب كانوا مجرد ناقلين لهذا التراث وأن دورهم فى ذلك كدور ساعى البريد لم يضيفوا اليه معارف أو علوما جديدة موضحا أن العرب فتحوا للبحث فى الطبيعة طرقا جديدة وابتكروا أجهزة علمية ساعدتهم على القيام ببحوث أدت الى نتائج أكثر دقة ممن سبقوهم وظلت بحوثهم واكتشافاتهم فى ميادين العلم منارة يهتدى بهـا الغرب زمنا طويلا ويستدل على ذلك بأن كتاب القانون فى الطب لابن سينا والحاوى للرازى كانا عمدة الدراسات الطبية فى أوربا لستة قرون . كما أن كتاب الحركات السماوية وجوامع علم النجوم فى الفلك لأحمد بن محمد الفرغانى كان أحد المراجع الهامة التى اعتمدت عليهـا دراسات الفلك فى أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، الى غير ذلك من الكتب العربية التى كانت عاملا هاما فى ثقافة الغرب .

أما كيف وصلت حضـارتنا الى الغرب وكيف انتقلت اليه فان ذلك يرجع فى رأى الباحث الى تلك الفتوحات الاسلامية التى وصلت الى أوربا وأظهرت

فيها مالدى العرب من الحضـــارة والآداب والمعارف والأخلاق والعادات كما أن الحروب الصليبية كانت هي الأخرى من العوامل الهـامة في نقل الحضارة العربية الى الغرب ولذلك فان « جون راندل » ذكر فى كتابه « العقل الحديث » أن الحروب الصليبية أتاحت للكـثير من أبنـاء أوربا الاحتكاك بالثقافة الاسلامية التى تفوق الحضـارة الأوربية بمراحل كثيرة ٠

وينتقل الكاتب ليوضـح ماقامت به الأندلس من دور فى هذه النهضة فقد شـارك علماؤها فى بناء الحضـارة الانسـانية وحملوا شـعلة فكرية هدت أوربا الى طريق النور والمعرفة ٠ وصـدر عن « دار الترجمة » كثـير من المؤلفات العلمية التى كانت مجهولة فى أوربا ونقلهـا العـرب اليهم كمؤلفات أقليـدس وبطليموس والخوارزمى والكندى والغزالى وغيرها ٠

وعلى كل فان حركة احياء العلوم والتبادل الثقافى والبعثات الى معاهد الأندلس قد أحدثت فى أوربا نهضة فكرية شاملة أوصلتها الى ماهى عليه اليوم من رقى وحضـارة ٠ ولكن التعصب الاعمى دفع بعض المؤرخين الأوربيين الى انكار فضل العرب بل قل منهم من تعرض للاشادة بجهودهم غير أن البحث الحديث استطاع أن يدحض تلك الأقوال الجوفاء وان يبرز دور العرب العظيم بما فى مؤلفات علماء الغرب من هذا العدد الكبـير من المصطلحات والكلمات العلمية العربية الأصل التى وجدت منتشرة فى كتبهم وفى هذا أكبر دليـل على التأثير العربى فى الحضـارة الغربيـة ـ كما أن الشـعر الغنائى الذى ظهر فى فرنسا وتغنى به الشعراء الجوالون فى أوربا الذين عرفـوا بالتروبادور قـد أخذ أوزانه من الأزجال العربية التى شاعت فى شمال الاندلس ٠ ومهمـا ادعى الالمـان أن شعرهم الغنـائى نبت من جذور الأغانى الشعبية الالمانية فان المتصفين من المؤرخين اكدوا أن الموشحات والأزجال الأندلسية هما اللذان أثرا فى نشأة الشعر الاوربى فى العصر الوسيط فهذا « بيرديه » يذكر فى كتابه « القصة فى سبعة قرون » ردا على مؤرخى الادب الفرنسى يقول لقد « نشر العرب فى الاندلس خلال القرن العـاشر الميلادى حضارة جديدة وابتدعوا شعرا غنائيا حمله الشعراء الى الشمـال ٠٠ ومن السخف أن يتجنب مؤرخو الادب الفرنسى ذكر هـذه الوقائع الثابتة بالأدلة المسجلة » ٠

وبالاضافة الى هذا التأثير فى الشعر الأوربى فان القصص العربيه التى ترجمت الى اللاتينية وانتشرت فى أوربا حاكاها الكتاب الأوربيون واقتبسوا منهـا فى تلوين أدبهم قد أثرت فى قصصهم واظهرتهـا بمظهر جديد يختلف كل الاختلاف عما كانت عليه من قبل من هذا « قصص دانتى التى تشبه الى حد كبـير القصص والروايات الاسـلامية كالاسراء والمعراج » وكوميديته التى حاكى بهـا رسـالة الغفران » والف ليلة وليـلة التى ترجمت بعض قصصها الى الأسبانية كقصة الجـارية تودد التى اثرت فيما بعد فى الكاتب المسرحى الاسبانى «لوب دى فيجا» وقصص السـندباد التى اثرت فى عدد كبير من الكتاب الاوربيين » ٠

بعد هذا العـرض الذى وضـح دورنا فى ثقافة الغرب نتسـاءل هل نكتفى الآن بما يقـوله عنـا المستشرقون وما يدافعون به عن تراثنا ؟ وهل نعتمد عليهم فى كتابة تاريخنا وتسجيل معارفنا ! ان هذا لا يتفق بحال مع مالنا نحن العرب من شـخصية مستقلة اذ أن هؤلاء مهما كتبوا عن تاريخنا فانهم لن يخرجوا عن أن يكونوا غربيين يكتبـون لغربيين وواجبنا أن نؤكد باستمرار حضارتنا على أن تكون امتدادا لأساس أصيل لا يبعد عن عروبتنا ٠

الشعر العربى الحديث ومسرح اللامعقول

استطلعت مجلة « الأفق الجديد » التى تصدر فى الأردن الشقيق رأى بعض الأدباء فى العالم العربى حول قضية الشعر الحديث وحول مسرح اللامعقول ٠ وتحت عنوان « قضايا وأدباء » سألت : هـل **استطاع الشعر العربى الحديث أن يكون حديثا ؟ والى أى حد تكون هذه « الحداثة » دعوة اصالة او دعوة هدم وتزييف ؟**

ويجيب الشاعر العراقى خالد الشواف بأن الشعر العربى الحـديث استطاع عند فئة من الشعراء أن يحقق الحداثة عن طريق محاولته الحفاظ على سلامة التركيب البيانى للشعر مع نزوعه فى الوقت ذاته الى تعميق حصيلته الفكرية والفنية ومن هنا كانت الحداثة على هذا الرأى دعوة أصـالة ، لكن الذين يضحون بسلامة التركيب من خلال محاولتهم اختراع

أسلوب هجين لكتابة الشعر فانهم يهدرون ركنا هاما من أركان الشعر لا يقوم بناؤه الا عليه . ومهما يدع هؤلاء بان طريقتهم قد أثرت محتوى الشعر ، فان الثروة فى المحتوى ان لم يحصنها الاسلوب تكون عرضة للضياع ، وعلى هذا تعتبر الحداثة دعوة عدم وتزييف » .

ويرى الأديب العراقى عبد الله نيازى أن المحاولات التى تبذل لتطوير الشعر العربى وتشذيبه جعلت دعاة التحرر والثورة على الجمود يلاقون عنتا شديدا بما يدعون اليه من التجديد فى الشعر ومن خلال هذه الصراعات يستخلص « أنه لن يكون هناك استقرار فكرى الا اذا قدر للمجتمع العربى أن يستقر على اتجاه واضح .. غير أن تلك المخاضات كلها مفيدة وهى بمثابة المصل الواقى الذى يقى أخطار الرجعة والنكسة .

والشاعر بلند الحيدرى العراقى يرى انه مهما تكن هذه المحاولات الهزيلة التى تعم الشعر الحديث وتجعل منه مدى مفتوحا لتجارب فجة فان هذا الشعر « وقد طور لدينا كثيرا من المفاهيم التى منها :

١ ـ محاولة الشاعر الحديث الاعتماد على وحدة القصيدة بدلا من وحدة البيت السائدة فى القصيدة القديمة .

٢ ـ توزيع تفعيلات البيت بشكل يؤدى الى آخر بحيث يصعب زحزحة أى بيت من أبياتها .

٣ ـ حاول الشاعر الحديث أن يستبدل الطريقة التقريرية فى القصيدة القديمة بالطريقة الايحائية ولهذا السبب أخذ يهتم بالابتعاد عن الكلمات القاموسية الخالية من كل ايحائية لبعدها عن الاستعمال اليومى .

واخيرا فان عناية الشعراء المحدثين بموسيقى القصيدة الداخلية ـ أى التوافق الداخلية ـ كان لها أثرها فى اعطاء كل قصيدة موسيقاها الخاصة بها .

والشاعر هلال ناجى يبين مدى ما يؤديه الشعر العمودى من تجارب الشاعر المعاصر فهو يرى ان الشكل العربى القديم «انجح فى صياغة شعر المحافل والمناسبات الجماهيرية اذ أن وحدة الوزن والايقاع والقافية لها أثرها العظيم فى آذان السامعين ونفوسهم . وفى الاثارة الجماهيرية ، فموسيقى الشكل القديم مثيرة وصاخبة وهى أشبه بموسيقى الجيش تعتمد على الطبل والبوق فقط، لكنها تفلح فى اثارة حماس الناس » ثم ينتقل الشاعر ناجى مبينا « أن الشكل الحديث أنجح فى مجالات الرؤيا والرسائل الشعرية وفى التعبير عن خلجات الأعماق وفى شعر الحكاية مما يترتب عليه عنده أن هذين النوعين يمكن أن يعيشا معا وأن يتعايشا سلميا» .

وعن مسرح اللامعقول ومسوغاته الحقيقية بالنسبة لواقعنا العربى الراهن يبين أيضا الشاعر خالد الشواف رأيه قائلا: ان «اللامعقول فى المسرح لايعدو أن يكون ظاهرة تشبه الظاهرات التى طرأت على مجالات الأدب والفن الحديث فكما أن الشعر طرأت عليه السريالية والوجودية والرمزية كذلك طرأت على الفن التشكيلى السريالية والتجريدية والتكعيبية ولكن لا خوف عليهما من هذه الظاهرات الجديدة لما لهما من المقومات الأصيلة التى تقف بشموخ لتفضح زيف هذه الظاهرات الطارئة . لكن المسرح العربى يختلف فى ذلك عن الشعر والفن التشكيلى فانه لا رصيد له وجمهوره بدأ مؤخرا يتذوق الفن المسرحى الأصيل معتمدا على المنطق المعقول . ومن هنا فانه لم يبلغ بعد من حصانته الفنية مايمكنه من الصمود امام عبث اللامعقول ـ ثم يضيف الى ذلك « أن واقعنا العربى الراهن يتطلب من المسرح أن يقدم له الحلول لمشاكله فى نطاق المنطق المعقول ليتسنى له استبطان ذاته من خلاله ومعرفة عقده ومشاكله ، ومحاولة التخلص من هذه العقد وتلك المشاكل .. اما ان تلقى به فى دوامة اللامعقول وعبثه فعبث لا يحتمله واقعنا العربى الراهن .

واخيرا نشكر لمجلة « الأفق الجديد » عنايتها بهذه القضايا الهامة وما عالجته صفحاتها من الموضوعات وماقدمته من الأشعار . ولكننا نهمس فى اذن رئيس تحريرها الأستاذ أمين شنار ونعتب عليه انه قد سمح لنفسه بان ينشر فى مجلته قصيدة له بعنوان « عراة تحت الشمس » فى الوقت الذى نشرتها له مجلة الشعر التى تصدر فى القاهرة فى ص ١٦ عدد نوفمبر تشرين ثان ١٩٦٤ وشغلت مساحة قدرها احدى عشرة صفحة كان الأولى بالأستاذ شنار أن يتيح فرصة النشر لغيره مادامت عنده الفرصة لينشر فى مجلته .

« محمد العوانى »



العروبة ٠٠ والمنظمة

حلمى محمد القاعود

ان من بوادر الأمل والابتهاج ،أن نجد فى وطننا العربى من يقف موقفا جسادا من أجل هـذا الوطن وعروبته الأصيلة ، وقيمه الانسانية الرفيعة، ومثله العالية ، وتراثه القيم والمضىء ٠٠ سواء فى حياة العرب أو حياة غيرهم من العالمين ٠٠

ومن دلائل الوطنية وعلائم القومية أن نجـد فى هذا الوطن العـربى الـكبير من يدافع عنه ٠٠ فى سياسته الانسـانية التى تدعو للسلام والحرية والعدالة الانسانية ٠٠ وكذلك فى فكره الوضاء ٠٠ الذى تلألأ وغمر الدنيا بنور متوهج ينير الطريق الى انسانية أفضل ، وحياة أعظم وحرية وفيرة ٠

رأيت الجد والخير حين قرأت العدد الأخير من مجلة « الحوادث » اللبنانية الصادر فى ٦٤/١٠/٣٠ فقد تناولت فى جراة وصراحة وطنيـة ٠٠ مواقف شعوبية ٠٠ تتنصل من عروبة العرب ٠٠ وقومية العرب ٠٠ واسلامهم ٠٠ وتراثهم ، وحللت بالبحث الواعى ما يقوم به عملاء المنظمة الصهيونية ٠٠ التى تغلغلت فى عواصم عربية عـديدة تنشر نواياها المخربة ضد البناء الثورى الذى تضع اساسه قويا متينا ثورة عربية عظمى قامت يوم الثالث والعشرين من يوليو سـنة ألف وتسعمائة واثنتين وخمسين ٠ ان منظمة حرية الثقـافة العالمية ٠٠ التى تمولها الراسمالية الصهيونية قد أمدت عددا من الشعوبيين الذين تستروا تحت ستار الأدب العربى ٠٠ ومن ثم أخذوا يفرضـون ارادتهم اللاقوميـة ٠٠ ويبثون أفكارهم الاقليمية ٠٠ ويوزعون على صـفحات عدة مجلات تغذيها المنظمة الصهيونية وتواليهـا بالعناية والتربية ٠٠ دعوات ضد المبادىء والقيم والمثل العربية الصميمة ٠٠ويركزون دعواتهم لضرب نبراس العروبة ودستورهـا ـ القـرآن الكريم ـ لأن فيه مايدحض حجتهم ، ويزهـق دعواتهم وأفكارهم ، ويرديهم فى غياهب من الظلام حالكة وقاتمة ٠

ان « الحوادث » تطالعنا وقد كشفت عن موقف لرجل من لبنان كان موظفا فى شركة وفجاة ـ بعد أن سافر لعدد من عواصم الغرب ـ أصبح أديبـا ومفكرا ومؤرخا ووطنيا غيـورا على التراث اللبنانى ٠٠ ويتضح أن هم هـذا الرجل بعـد أن جمع مساعدات مالية ضـخمة هو اصدار كتيب صغير محشو بالمغالطات ٠٠ ثم ان الرجل نفسه يرمى الى عزل لبنان عن الصعيد العربى ٠ أما اسم الرجل هذا فهو ـ السيد/اميل خورى حرب الموظف سابقا فى شركة ك ٠ ل ٠ م ،، ثم ٠٠ هناك عملية الجذب التى يقوم بها « سعيد عقل » لتعميد عبد الوهاب البياتى فى حظيرته وذلك بأن يجعل له أصلا من لبنان ويكون البياتى صاحب جنسية لبنانية ٠ ولقد تجرأ سعيد عقل قبلا بأن جعـل لهوميروس الشـاعر اليونانى العظيم أصلا لبنانيا ٠

ثم ٠٠ أيضا ٠٠ الانقسـام الذى أصـاب خلية المنظمة الصهيونية فى لبنان ٠٠ وأكتفى بأن تقرأمعى ماقالته « الحوادث » ٠٠٠ « ٠٠ فمن جهة ، انفرط عقد جماعة مجلة شعر ودب الخلاف بين أعضائها

القدامى ، لان **الانبرلزاريو** الاكبر للحلقة استأثر وحده ، بعد انفراط العقد ، وتفرق الشمل بالاستفادة من مخططات « حوار » وراح بمعونة هذه المخصصات يشتم ـ وحده ـ الاتجاه الوطنى ويطلق عليه **الانتلجسيا** العربية ٠٠ فى حين أن بقية الاعضاء حرموا من « نعمة » هذه الشتائم » ٠٠٠

هل تعرفون « الانتلجنسيا » العربيةالذى يطلقها الشاتم المسمى فى « الحوادث » « بالانبرلزاريو » على الاتجاه الوطنى ؟؟

صدقنى ٠٠ ان هذه « الفرقة » التى تزعمت حركة صهيونة لن تبقى طويلا ٠٠ وستموت مع نسمات الفجر الوطنية ٠٠ التى تنطلق من القاهرة فى كل صوب وكل اتجاه ٠٠ ولن تجعل للمردة والرافضين والمشعورين مكانا فى حياة العروبة وقومية العرب وتبعا لعناصر المنظمة التى تتنقل بين تل ابيب !! وواشنطن !! وباريس !! ؟ وواعروبتاه !!

« عيد ميلادى »

خميس سلمونة

فى العدد الأخير من « صوت الشرق » الزاهرة الصادر فى شهر سبتمبر « أيلول » طلع علينا الأستاذ أحمد الشرباصى بتحليله القيم لكتاب الاستاذ طاهر الجبلاوى «فى صحبة العقاد» ولقد كان التحليل ممتعا ٠٠ ولكن هناك فقرة استوقفتنى تقول :

« عباس محمود العقاد » الذى فقده العالم العربى فى السابع عشر من فبراير لهذا العام » فاصابتنى الدهشة لأنى أعلم جيدا كاحد المتفانين فى حب العقاد انه لقى ربه فى صبيحة الثانى عشر من شهر مارس من نفس العام ولم يلق ربه فى التاريخ الذى ذكره الأستاذ الشرباصى ٠٠ بل كان حيا يرزق ٠٠ مع الأحياء ٠

فكيف بالله ؟ للأستاذ الشرباصى أن ينسى تاريخا هاما سجله الشعب العربى من المحيط الى الخليج ٠٠ كيف ينسى تاريخا سطرته القلوب جميعا ٠٠

وانى لأذكر هذا التاريخ بصفة خاصة وكلى اسى وحسرة فهو يوافق عيد ميلادى المشئوم الذى اطفأت فيه الشموع بالدموع ٠٠ على العقاد ٠٠

« نفثات مغترب »

« الشاعر الأردنى محمد عز الدين المناصرة »

« مهداه الى الأستاذ الشاعر الكبير على الجندى »

ياساكنى الشام هل لى عندكم خبر
من الأحبة من اهلى وجيرانى
خلفتهم وديار الشام عامرة
وقد أبيت فزادوا فى تحنانى
عرِّج فديتك حدق فى جنائننا
وامرح على العشب فى آكام كثبان
الى مرابع خلد فى ذرا جبل
من « الخليل » فاين اليوم خلانى
والى «اليقين» وصوب الغيث منهمر
اذكره دوما وفى سرى واعلانى
كسته خضرة ذات الشيح وارفة
ظلاله فأعادت فى اشجانى
والى الجهير وطهر الماء منسكب
من الأعالى فمن حبات مرجان
وارع القطيعَ نشيطا فى أصائلنا
وكن لوحدك فى مرج وقيعان
وارقب فديتك شمس الصبح طالعة
مثل اللجين تعيد الى وجدانى
وقد تراهم رعاة الوادى قد سرحوا
على الجوانب واكتظوا بجمعان
والطير ضاحك حياه الحيا ثملا
فوق الغصون ورف الطير سربان
سرب الحمائم زرق قد غدون الى
ذاك الغدير على اركانه حانى
وسرب غيد مع الاصباح تلهمنا
شعرا طهورا جميلا ليس بالفانى
مضين نحو جهير الماء فى سحر
ملائك الله من حور وولدان
عذبننا سحرًا والنجم سهدنا
وهن عنا سوالٍ او كوسنان
ياساكنى الشام هل لى غيركم احد
ان عشت وحدى بالامى واحزانى
متى اعود اليكم يا أحبتنا
متى اعود الى صحبى واقرانى
ياحبذا جلسات فى ليالينا
وصخرة الوادى أرعاها وترعانى
ياروضة النيل قد صافوك رائعة
متى أعود تولت عنى شطآنى
رعا الاله وقد كنا بها زغب
«بنى نعيم» فهل من رجعة ثانى



فتاة شريفة

قصة قصيرة بقلم محمد المنذرى محمد



كان والد «وفاء» يجلس في شرفة قصره فوق مقعد من القماش وظلال الاشجار تهتز فوق راسه العاري الاشيب ، ويده اليمنى تداعب هرة حمراء تقبع على ركبتيه في هدوء بينما وقفت ابنته وفاء امامه منكسة الراس، شاحبة الوجه .. اما انا فقد كنت اقف مستندا على باب الشرفة ، ارقب بلهفة فراغ الشيخ من اصدار قراره بشان خاطب ابنته وفاء .. تلك التي كنت احبها في صمت .. وبلا امل !!

وكان ذلك في اواخر شهر مارس ، والهواء قد بدا يحمل تباشير الربيع ، وشذى الازهار يعطر الارجاء ، ولم يكن يوجد في الشرفة سوى مائدة صغيرة من الابنوس ، عليها كوب وعلبة تبغ ، وقداحة مفضضة تلمع في نور الشمس . وكانت وفاء ترتدي ثوبا بسيطا رمادى اللون ، ولاتضع من حلي الزينة غير عقد من اللؤلؤ يمتد في بريق اخاذ حتى اسفل نحرها .

وترك الشيخ ابنته لحظات تائهة في بيداء من الحدس والتخمين ، وفجاة تعقد جبينه ، ورمق ابنته وقال في سخرية لم يستطع كتمانها :

ـ هل يمكن ان تقولى لى باى شيء انت معجبة بخطيبك ؟!

قال الشيخ ذلك وازاح الهرة من فوق ركبتيه بحنق ، بينما تضرجت وجنتا وفاء وقالت وكانها تبكى :

ـ انا لست معجبة به في شيء ، ولو شئت الدقة فان صورته لاتعلق بذاكرتى البتة ! ولكنك قبلته خطيبا لى ووعدته بالانتظار .. انت الذى وعدت ! ولا احب لك ان تخلف الوعد . و.و ..

***

وارتج على وفاء ، ورمقها الشيخ رمقة سريعة ، وانثنى نحو السياج الحديدى ، واخذ نفسا طويلا كانه ينعم بهواء الصبح العليل ، وفجاة استدار نحو ابنته وحدق فيها وقد فاض به الغيظ ، وقال :

ـ تمام !! لقد عرف الوغد كيف ينتزع منى مثل هذا الوعد حقا ! ولكن المسالة ليست مسالة الفاظ تردد دون ان تحمل اى معنى . ان ذاكرتى قوية ! وقد صرح لى بأنه مسافر الى الاسكندرية ليعد منزل الزوجية ، ووعد ايضا انه بمجرد ان يتم ذلك سيعود في الحال ، وطلب مهلة لذلك شهرين .. ولكنه لم يعد ، لا بعد شهرين .. ولا بعد .. عامين !!

واشعل الشيخ لفافة اخذ منها نفسا زفره في ضيق ، وعاد يقول في غضب وجسمه كله يهتز :

ـ لا . لا . ان احتقار الفتاة الى هذا الحد ، واهمال شانها على هذا النحو ، مظهر يدل على عدم الرغبة فيها .. والانصراف عنها !!

ولوى الشيخ راسه نحوى ، واضاف مستشهدا بى :

ـ اليس كذلك يا رافت ؟ !!

وفي قفزة ، او قفزتين .. لا ادرى !! كنت اقف امام الشيخ في منتصف الشرفة (وفركت) يدى في حبور وغمغمت :

ـ اجل ، ياسيدى .. ان الامر لكذلك حقا !! ان كل ذلك حق ورب الكعبة !!

وحدج الشيخ ابنته بنظرة ساخطة نافذة وقال في تشف :

ـ اسمعت يا وفاء ؟ ! اننى لاعرف ان خطيبك وغد .. مستهتر .. افاك . اجل. اجل .. فان صديقا مخلصا لى احاطنى

علما بانه وغد !! وها انذا ، ابوك ، الهرم ، الذى لا يزال بالرغم من ذلك رجل علم وفكر .. يجد نفسه مضطرا لأن يكشف لابنته عن كل شيء ، ومن الطبيعى انه ليس من حق الأولاد ان يضع نصح والديهم موضع الريب !! فقومى ،يا ابنتى .. علام تنتظرينه بعد ان كشف عن نفسه ، باعماله ، الغطاء؟!!

واهتزت وفاء فى وقفتها كمريض يترنح ، ورمقتنى وتضرجت وجنتاها . وتمتمت بصوت مختنق :

ـ اه يا ابى العزيز ! لكم كنت افضل ان ترجيء الحديث حول هذا الموضوع الى فرصة انسب ! ولكن مادمت قد سحبت القناع واصبح الأمر على هذه الدرجة من العلانية ! فان ابنتك التاعسة لا تجد مفرا من ان تقول انها ترى فى النكوص عن العهد خدشا للاحترام ، وفى التحلل من الارتباط ، هدما للاخلاق !!

وضرب الشيخ زوايا المقعد بقبضة يده وخيل لى انه سينهض ويلطم ابنته ، ولكنه قال فى حماس : تمام ! تمام ! هذا عين الحق!! ومن يقل غير ذلك فهو مأفون !! ولكن سلوك خطيبك قتل هذا المبدأ القويم ، وفى الواقع ، يابنتى ، انا لست مطمئنا الى مسلك خطيبك من اول يوم ، فقد لمحت الاستهتار كله يتجمع فى عينيه عندما ضيقت عليه الخناق لتحديد موعد لعقد القران ، وكنت وشيكا على رفض طلبه فى نفس اللحظة ، ولكن امك .. اه يابنتى .. اجل ، اجل . امك التقية السليمة النية زكته لى ، منساقة فى ذلك وراء سيدة تعرفها من زمن، ولكن .. تلاعبه بنا ، يا ابنتى ، امر لم يعد يلائم كرامتى . حتى أمك نفسها اصبحت تشاطرنى هذا الرأى بعد ان نحت جانبا كل ماانتشد فى راسها من تقاة !! وانت يابنتى لست الا فتاة عديمة التجربة كامك !!

واهتزت وفاء كأنها تجرعت كمية مركزة من اقوى الخمر ، وشحب لونها وقالت لى متحرجة :

اه يابى العزيز ! لقد لست وترا حساسا فى النفس !! وليت ابنتك تستطيع ان تحنث فى الوعد بلا وخز الضمير .. !! اجل ، يابى .. فأن تمسكى بالعهد ! انما هو من صنعك انت ، ولست بمستطيع ان تلومنى على ذلك !! ولكن ، ان طاعتك هى أول واجباتى . فهل تجيب لابنتك الكلمة القلب مطلبا ؟ !!

ويظهر ان الجملة الاخيرة بدت للشيخ غامضة المعنى ، وكانما خشى ان يقع فى شرك، فقال بحذر :

ـ طبعا . طبعا . ان طلباتك كلها مجابة بشرط ان تكون معقولة .. فما هو يا ترى هذا الطلب !!

ـ رسالة لخطيبى حمدى .. رسالة منى .. حتى اقتنع باننى منحته فرصة يبرر بها مسلكه !!

وحدج الشيخ ابنته مليا ، وغاص فى المقعد ، وصوب عينيه نحو الارض ، وتعقد جبينه لحظة ، ولم يلبث قليلا حتى فرك يديه فى انبساط ، وتمتم :

ـ ان ذلك حكمة منك واصالة راى !! هيا اكتبى الرسالة واعهدى لرافت باسقاطها فى صندوق البريد !!

وكفراشة هاربة من الشرنقة ، تسللت وفاء الى غرفتها ، وبقى الشيخ ينصت لوقع اقدامها حتى تلاشت ، ثم حدق فى بوجه مكفهر ، واخذت اسنانه تصطك كرجل عراه الزمهرير ، وامرنى فى لهجة متقطعة باسقاط الرسالة والعودة سريعا وهو يكاد ينشق غيظا وغضبا : ياللشيخ من ثعلب عجوز !!

ومددت له يدى بالدفاتر ليطلع على الحسابات ، بيد انه نهض فجأة وقال بتأفف :

ـ لا عمل الان . لا عمل الان ! ومن الجوهرى ان نتفاهم على ذلك فى المساء.. فالى المساء !!

ومشيت الى غرفة وفاء وانا شديد الدهش من حرصها على وعد شاب يعاملها بمثل هذا الاسلوب الوقح ، وبقطيعة تنطوى على الاسفاف .. واهدار كل التقاليد والقيم والمثل . وبرغم شعور البرم الذى احسسته من اداء هذه المهمة ، الا ان حبى لوفاء جعلنى اتناسى هذا الموقف المحتقر .. لشخصى !!

وعند باب غرفة وفاء صدرت من حلقى سعلة عالية ، وجاءنى صوتها الساحر بانها فرغت من كتابة رسالتها ، فاسندت ظهرى الى الحائط ، وجرفتنى الافكار ، وتزايد شعورى بالالم والمهانة ، بل احسست ان قلبى تحطم تحت اقدام قوية جبارة سحقته بلا رافة !!

والواقع ان وفاء ، فى الأيام الأخيرة ، كانت قد اصبحت اكثر من صديقة لى ، ومن الاسرار التى افضت بها الى ، انها لا تكن فى نفسها شيئا من العطف لخطيبها ، بل انها تكره ان تراه ، ولكنها فقط تحترم وعدها ! وكانت كثيرا ما تؤكد هذا المعنى فى نفسى ، وهى تقول فى بسمة حزينة « ان الانسان الذى يخل بالعهد يجب ان يستأصل من المجتمع الانسانى ، يجب ان يباد كحشرة ضارة مؤذية !! »

وبعد ان تجول بنظرات جافة حزينة هنا وهناك ، تتنهد ، وتضيف وشعاع من نور سماوى يضيء جبينها . ولست اظن يا رافت انك تريد لى ان اخل بالعهد بالدرجة التى ارى فيها نفسى انسانة يجب ان تستأصل من المجتمع ، او ان اصبح فى نظر نفسى اما كذوبا امام اطفالها الذين ينامون فى المهد !!»

ووفاء على جانب كبير من نقاء السريرة فعلا، تعيش فى قصر والدها حياة مثالية ، تسودها نزعة فلسفية ، وتشغل وقت فراغها بقراءة الكتب هربا من الضيق والملل ، وتقول : ان القراءة كالفن ، كلاهما يسمو بالروح ويوسع الافق ، ويفتح أمام الانسان افاقا من العلم والمعرفة ، ويجعله اقدر من غيره على فهم الحياة ..

وعندما تسلمت الرسالة التى كتبتها وفاء لخطيبها الأرعن ، انتابتنى هزة عنيفة من لمسة يدها البضة ، ومن صوتها الدافيء الساحر وهى تعتذرنى من التاخير لتلحق بقطار الليل، حتى اذا تحررت من عهده ، لا يكون فى مسلكها ما يشين ، ويمكن لها ان تتخلص من تانيب الضمير ، وما تقاسيه من عجزه ... وظلمه !

وحدجتنى بنظرة تفيض بالدمع والسحر ، واستدارت فى رشاقة وظرف الى غرفتها ، وخشال الكلمات فوق حافة النافذة ، ولمحت جسمها يهتز ، ونشيجها يتعالى ، فتسمرت فى مكانى ، ورحت احدق فيها باشفاق ، ودفعتنى الحيرة والارتباك اكثر مما دفعنى الفضول الى عدم التحرك . وتمثل لى وجه خطيبها النذل، وهو يسخر منها ، غير مبال بما قد يسببه لها من الم النفس ومن سوء السمعة ، فكورت يدى ولوحت بها فى الهواء ، وبنفسى رغبة شديدة فى تحطيم صاحب ذلك الوجه او سحقه تحت قدمى كاحقر حشرة !

واحست وفاء بوجودى ، ويبدو انها ظنت انى انظر اليها خلسة ، اذ استدارت نحوى

فى حركة مفاجئة ، وراحت تتاملنى بنظرات حادة مكتئبة ثم اقتربت منى وقد امسكت براسها بين يديها وصرخت : ـ رافت ! لقد كنت اشعر نحوك بعاطفة صداقة ، ولست بعد اليوم اشعر بمثل هذا العطف ، ويؤلمنى ان اراك مرة ثانية وانت على مثل هذا السلك !

ادركت فى الحال ان وفاء قد اساءت بى الظن ، فترقرقت الدموع فى عينى ، وخفضت راسى وملء نفسى شعور بالاستخذاء ، والتوت زاوية فمى فى هزة عصبية .. فانا لا اتقهقر امام اشد الاشياء هولا ، ولكن كان يفزعنى سوء الظن ! . اذ ليس كمثله شىء يحيل قلب صاحبه الى اتون لا يخمد !

ولاحظت وفاء مالاح على وجهى من بوادر الالم ، فاقتربت منى ودفعتنى برفق ، وقالت فى كبرياء :

ـ لقد صفحت عنك ! . اذهب . ولكن اياك ان تفعلها مرة اخرى !

وهرولت الى مكتب البريد وانا احس برسالة وفاء كقطعة من جمر تتلظى بين انامل، وامام الصندوق ساورتنى فكرة خبيثة .. لماذا اسقط هذه الرسالة ؟ بل لماذا لا امزقها ؟!. ووثبت الرغبة المروعة الى راسي ، مفاجئة مذهلة ، وخفق قلبى بشدة ، وهتفت لنفسى بهدوء الانفاس : ان وفاء لن تكتشف ذلك ، ولو ان والدها علم بما فعلت ، لتقبل ذلك فى ارتياح كبير ، فانا من اعلم الناس بما يضمر ذلك الشيخ لخاطب ابنته من سوء النية !

ومضت لحظة ، او عام ، لا ادرى ، وانا واقف متواريا فى ظلال مبنى البريد ، مسندا ظهرى الى الصندوق ، كانتى اخفيه عن عينى! او من لذعة الضمير التى احسستها كسياط تلهب راسى !

وفى اللحظة التى استدرت فيها لاعود الى القصر ، اقترب منى موزع البريد ، وسلمنى رسالة تبينت انها من خطيب وفاء لوالدها . يا للشيطان ! هتفت بذلك لنفسى ، وعدت ارتع فى الطريق الى القصر وانا استشعر فى نفسى جوى يحرق صدرى ، فها هو خاطب وفاء قد تيقظ اخيرا بعد ان ظننته قد تنحى عن طريقى ! . ولكن .. من انا حتى اجرؤ على طلب يد وفاء ؟!

شعرت بذلك السؤال يهبط فوق راسي كلسعة السوط ، فانا اعمل وكيلا لمكتب والد وفاء ، انام واعمل فى غرفة ضيقة ، منخفضة السقف ، غاصة بالرفوف والكتب والسجلات، ما من مرة تنبهت الى نفسى فيها الا وشعرت بالاكتئاب يغزو قلبى كجيش مظفر !

غرفة موحشة فى النهار ، مظلمة كئيبة ، اما فى الليل فلا يؤنس وحدتى الا توائب الجرذان بين جدرانها الرخوة المعتمة وفرضها لجوانب الارفف ، وفى الحق لست جديرا بمثل هذا العمل ، ولكن والد وفاء عطف على ، والحقنى بخدمته بعد ان توفى ابى ، ولم يبق لى فى الحياة من امل اواصل به تعليمى او اطعم امى التى ترملت وهى فى ريق الشباب ، واثرت حياة الترمل ، بما فيها من شظف على زوج لها قد يشقينى فى قابل الايام !

صفعنى واقع حياتى المر !! اسودت معالم الطريق امامى ، وعند القصر وثبت الى راسي فكرة شيطانية : لماذا لااخفى خطاب «حمدى» والقى نظرة على محتواه ؟! . وتقبضت اصابعى على الخطاب فى فزعة من يقظة الضمير ، ولكن الرغبة الخبيثة كانت قد سيطرت على،فادنيته من فمى لابلل اطرافه وافتحه بلا اثر يذكر ، وفجاة دوى فى اذنى صوت احسسته كقرع الطبل : هكذا الامانة والا فلا !!

هبطت يدى الى جانبى فى تخاذل . مشيت فى ممر الحديقة والزهر يتراقص امام بصرى كدم مسفوح لانسان فاقد الشرف والذمة والضمير !! .. وردتنى الى عالم الوجود صيحة من وفاء ، وكانت فى زاوية تكاد تخفيها الاشجار .. عدت اليها .. ناولتها الخطاب . فتحته فى شرود . اخذت تتصفحه بعينين غير مكترثتين . ركزت بصرى .. بل حواسي كلها ، فى دراسة ما يطرا على وجهها من مختلف الانفعالات ، واخيرا هزت راسها ورمقتنى وقالت فى ارتياح :

ـ حمدا لله . لقد عدل حمدى عن خطبته ، وقد اصبحت الآن حرة من قيد وعده .. الثقيل !

شعرت بالدنيا كلها تضحك فى عينى ، قلت وانا اتطلع اليها لاول مرة فى امل :

ـ اليس فى هذا ما يحزنك حقا .. يا وفاء ؟ !

رمقتنى وضغطت اسنانها الناصعة فوق شفتها السفلى ثم هزت راسها وابتسمت فى غموض وقالت : انك لم تصبح رجلا يحس مسئولية الكلمة يا رافت ! الشىء الوحيد الذى يؤلم نفسى هو الاخلال بالعهد !! واضطرمت الكلمات فوق شفتيها ورمقتنى واطرقت ثم رفعت يديها وغطت وجنتيها الملتهبتين وجرت الى الداخل وشعرها الاسود يقفز فوق جبينها البديع ، وهتفت لنفسى فى نشوة :

وحق الانبياء والقديسين والشهداء .. ان وفاء .. تحبنى !!

فركت يدى فى غبطة . همست لنفسى فى مرح :

ـ عال ! . لم تبق الا كلمة تقال .. وتصبح وفاء خطيبة لى !

وفى المساء لذت بغرفة المكتب ، اراجع اعمالى للمرة العاشرة بعد الالف ، وطيف وفاء يتراقص امام بصرى كملاك . وتمثلت وجهها المستدير الطيب . فى حلم لذيذ شائق ، لماذا لا اثير مسالة حبى لوالدها فى هذه الليلة ؟! وتمتمت لنفسى بلهجة محزنة مضحكة معا : اعتقد ان هذا الطلب قد اصبح الآن فى منتهى الاعتدال !

وسمعت وفاء تنادى على ، وفى اللحظات التالية كانت تحدجنى مليا وقد استندت باناملها البضة فوق حافة المكتب :

ـ ان ابى ينتظرك منذ اكثر من ساعة فى حجرة الجلوس لتقدم له دفاترك العتيقة !

ومشت خطوتين ، ثم استدارت نحوى فجاة وقالت فى تساؤل :

ـ رافت .. لماذا يبدو عليك الاضطراب ؟!

وتاملتنى برهة هزت بعدها راسها وانطلقت الى الخارج كالحلم . وتابطت الدفاتر وخرجت الى والد وفاء ، وطلب يد كريمته يتلاعب فوق شفتى كسفينة تمخر مياه محيط فى رسوخ: وقدمت الدفاتر له ولكنه اشار الى مقعد بجانبه وتمتم :

ـ اجلس . لقد اصبحت الثق فيك ولك ان تتصرف كما تشاء دون الرجوع الى بعد ان تيقنت من صدقك !

وطاف بخاطرى اكثر من خاطر مبهج ، وتمتمت لنفسى وانا اتظاهر بمراجعة الدفاتر : انتهى الاشكال !

واقبلت وفاء وقدمها الصغيرة تضرب الارض من تحت طيات ثوبها الازرق ، وجلست جنب والدها ولم استطع ان احول بصرى عنها ، ورمقتنى بغتة ورمشت باهدابها الطويلة ، وقالت بصوت ساحر اخاذ :

ستتناول طعام العشاء معنا يارافت ،

وبعد ذلك هناك ما يود ابي ان يقوله لك !

قالت ذلك وادارت راسها نحو ابيها وغمزت له بعينها ، ثم حدجتني بنظرة من عينيها الساطعتين ، فخفق قلبي بشدة ، وتمتمت في وقار مصطنع :

ـ شكرا لك يا وفاء ، ولكني مضطر لمراجعة الدفاتر و .. والاستذكار للحقوق..و..و..

وتوقفت الكلمات في حلقي ورحت احدق فيها مبهورا مبهورا ، بينما صاح والدها يقول في غبطة :

ـ انت اليوم تستحق التكريم لانك حملت لابنتي بشرى الخلاص من شخص كنت استثقل ظله ، ثم انك قد صرت كفرد من اسرتنا .. فعلام التكلف يابني ؟!

وللمرة الثالثة ، او الرابعة ، لا ادري ، فركت يدي في حبور ، وهتفت لنفسي في زهو :

عال ! لم تبق الا اجراءات شكلية وتصبح وفاء شريكة لحياتي !

واطلق الشيخ ضحكة مرحة وهو يرمق ابنته اعجابا ، وفجأة زوت وفاء مابين حاجبيها واطرقت وقالت باكتئاب :

ـ ليتني صدعت بامرك يا ابي فلم ارسل خطابا لذلك الوغد !

وشعرت بنشوة هزتني من الاعماق وانا اسمع وفاء تعترف بان خطيبها السابق لم يكن الا وغدا ، واخرجت الرسالة من جيبي وقدمتها لها وقلت بانشراح :

ـ لا تحمل هما ! ها هي !

نطقت الكلمة الاخيرة بصوت خلته كرنين طبل في موقع حربي ! وقفزت وفاء من فوق المقعد منتشية ، ومزقت الرسالة قطعا صغيرة ونثرتها في الحديقة وهرولت الى الخارج في رشاقة الغزال .

ورمقت والدها وهممت ان اصارحه بما في قلبي ولكن وفاء عادت مسرعة وقالت بمرح :

ـ رافت . لا تنس ان ترسل في طلب امك ! فقد طلبت من ابي ان تعمل امك هنا . انها لن تتعب ! وسنفرد لها غرفة خاصة لتكون قريبة منك !

ورمقني والد وفاء وهز راسه موافقا وفوق شفتيه بسمة المانح المتفضل ، وقال :

ـ ان مرتبك ضئيل وقد اردت ان اسدى اليك خدمة في مقابل جهودك المخلصة !

احسست بقوله كنصل سكين حاد يغوص في عنقي حتى نهايته . تجمدت انامل فوق حافة المقعد . تضاربت الاضواء في عيني كالوهج . شعرت كانني اهوى من حالق واسقط وسط اتون من لهب . وقفت وقلت بصوت المختنق :

ـ ان امي لن تعمل ابدا . ابدا . لا في هذا البيت ولا في سواه .. وانا على قيد الحياة !

غادرت حجرة الجلوس كانسان يفر من لهب الحريق في اخر لحظة . انهرت فوق مقعدي الاجرب كتمثال . مضت فترة وانا انصت لخرفشة الجرذان في الاوراق القديمة : هنا مكانك ! هتفت بذلك وانا في غمرة من حمى الياس ، ورأيت والد وفاء يدخل على بخطوات مسرعة كشبح مزعج ولمس كتفي بيمناه وتمتم وهو يحدق في :

ـ ما هذا ياولدى ؟! ان امامك مرحلة طويلة قبل ان تشق لنفسك طريقا بديعا في الحياة .

انا اعلم تماما مدى ما ينطوى عليه قلبك الطيب ، من حب .. لابنتي .. انها فتاة طاهرة نقية ولو انها متطرفة في التمسك بالشرف . ولهذا السبب اراها ناشفة الراس. ولا اريد ان اثير في نفسها مر الالم بان اقدم لها فتى جديدا على اطلال فتاها القديم !

و .. وذهلت ، وبدرت من حلقي صيحة مختنقة : احقا .. ! .. ! ..

وهز الشيخ راسه وتمتم ووجهه المغضن يضىء بنور الصدق :

ـ اجل.. يا ولدى .. فانا اعرف كل شيء .. كل شيء ! . يا للثعلب العجوز !

ولاول مرة ، اشعر بغرفة البدروم تتسع وتتسع كانها اجمل قصر في الدنيا !

محمد المندي محمد

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

- على هامش المجمع الكنائسي العالمي — محمد فريد أبو حديد
- متحف الرعب — عبد المنعم شميس
- بين العلم والفلسفة — زكي محمد اسماعيل
- طعام مسموم (قصة و. و. جاكوبس) — ترجمة : فهيم حبشي
- بين الشكل والمضمون فى القصة القصيرة — فوزى شاهين
- الوحدانية فى العقيدة الافريقية — عايدة العزب موسى
- ملحمة الجلاء — نقد : د. سعد الدين الجيزاوى
- الستائر البنفسجية (قصة) — عدنان الداعوق
- الخطوبة (مسرحية تشيكوف) — ترجمة : شكرى عازر
- تكنيك التمثيل . — ترجمة : بديع عزيز
- أتيلا (شخصية خالدة) — أمين سلامه



العدد ٧١
الثمن ٣ قروش

الدار القومية للطباعة والنشر